IJEL International Journal of Education and Language Studies

ISSN: 2791-9323



Ahmed Ali Niimaa Al- ZUBEIDY ²ZUBEIDY -Haider Ali Niimaa Al& [1]

INDICATIVE ACCUMULATION IN THE HOLY QUR'AN

Istanbul / Türkiye

p. 11-36

Article Information

Article Type: Research Article

This article was checked by

iThenticate No **plagiarism** detected

Article History

Received: 22/07/2021
Accepted: 10/08/2021
published: 01/09/2021

Abstract:

The research dealt with the most essential linguistic and expressive issues that contributed to this great Qur'an being summarized in its apparent phrases, abundant in its latent connotations, deep in its aims and objectives, and as a result it led to this amount of moral accumulation in its short glorious texts; Exemplified by the manifestations of miraculous expansion that no human being can encircle, no matter what he takes from the point of view and knowledge. Starting from (interlingual homophones Homonyms), passing through the phenomena (Qur'anic recitations), and ending with the phenomenon (metaphor); And that is through rapid tourism between the artifacts of those phenomena, and getting acquainted with their jurisprudence and the field of function , and the secrets contained under each of them, and the benefits and merits they added to the Holy text.

Key words: The Holy Qur'an, Indicative Accumulation, Metaphor.

http://dx.doi.org/10.47832/2791-9323.3-2.2

[1] Dr. , Iraqia University, Iraq, mujamart@gmail.com, https://orcid.org/0000-0003-1846-6215

[2] Dr. , Iraqia University, Iraq

التراكم الدلالي في القرآن الكريم

أحمد علي نعمة الزبيدي [3]
حيدر علي نعمة الزبيدي[4]

الملخص

تناول البحث أهم القضايا اللغوية والتعبيرية الجوهرية التي أسهمت في أن يأتي هذا القرآن العظيم موجزاً في عبارته الظاهرة، غزيراً في دلالته الكامنة، بعيداً في مقاصده ومراميه، وأفضت بالنتيجة إلى هذا الكم من التراكم المعنوي في نصوصه الكريمة المقتضبة؛ متمثلة بمظاهر (التوسع) المعجز الذي لا يستطيعه طوق بشر مهما أوتي من ناصية البيان والعلم؛ ابتداء من ظاهرة (المشترك اللفظي)، ومروراً بظاهرة (القراءات القرآنية)، وانتهاء بظاهرة (المجاز)؛ وذلك من خلال السياحة السريعة بين أفنان تلك الظواهر، والتعرف على فقهها ومجال عملها، وما ينطوي تحت كل منها من أسرار كوامن، وما أضافته للنص الحكيم من فوائد وفرائد.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الدلالة ، القراءات القرآنية، المجاز.

المقدمة:

كل كتاب يرثُّ كلامه بكثرة البحث فيه، وتذوي الأفكار منه، وينضب عطاؤه، إلا هذا الكتاب الكريم؛ كلما قرأناه؛ ألفينا أنفسنا غير التي كانت بالأمس تقرأ! والقرآن هو هو، وما تلقاه قارؤه المتدبر اليوم غير ما فتح له منه بالأمس! وإنا لا نجد غيره يمنحنا هذا وأكثر من هذا، ويؤتينا كل يوم تصوراً جديداً؛ حتى لكأننا نقرأ في كل مرة أول مرة، وحين نقرؤه سبعين مرة؛ نكون كمن قرأ سبعين كتاباً، ومن يستزد؛ يُزدا!

ولكل كتاب ذي قدر في بيان البشر غاية يساق البيان فيه إليها، ومقصود أعظم يؤم إليه، وأحق الكتب بذلك ما كان بياناً من ربنا عز وجل إلى عباده؛ بل فضله في هذا على سائر كتب العباد كفضل الله جل جلاله على سائر عباده، وأحق كتب الله سبحانه قاطبة بهذا: كتابه الكريم المنزل على عبده ورسوله النبي الأمي الأمين، المبعوث بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فهو الكتاب الخاتم المنزل على النبي الخاتم إلى خير أمة أخرجت للناس، وهو الكتاب الذي جعل بيانه - دون ما سواه من سائر الكتب - معجزة من أنزل عليه؛ فضلاً عن كونه مصدر التشريع؛ فكان جديراً بأن يكون كل ما فيه من الحق الأبلج، والبيان المسفر، والإعجاز المبلس، والحجة المبينة مقصوداً بها العالمون كلهم أجمعون.

وربَّ سائل يسأل فيقول: كيف وسع هذا الكتاب بصحائفه المحدودة وكلماته المعدودة طيات الوجود المترامية إن لم يكن ثمة شيء فيه لا يوجد في غيره، فليت شعري ما هو ذا الشيء الذي آنماز به هذا الكتاب عن سواه؟!

إن من دلائل الإعجاز في التعبير القرآني، أو من دلائل الإعجاز في عبارة القرآن: تميزه عن غيره من الكلام البليغ بكثرة الاحتمالات؛ فإن كلام البشر كلما كان أبلغ؛ كان أدل على المطلوب، وأبعد عن الاحتمالات. في حين أن القرآن بما أنه صوت الغيب الموجه إلى مسامع الدهر، يعي كل زمن من أزمنته وكل معنى من معانيه بقدر ما يكون فيه من مقاييس الفكر وتطورات العلم؛ فمن ثم تجد الإنسان في كل عصر ومصر يشعر إذا تلا القرآن أن حقائقه تتجلى أكثر ما تتجلى في العصر الذي هو فيه، فكيف وسع هذا القرآن الدهر كله، وجاءت عباراته - مع بلاغتها التي تنحط دونها بلاغة البلغاء - منسجمة مع أفهام الناس المختلفة باختلاف الأطوار الثقافية؟!

هذا ما سنتعرف على جوانب منه في بحثنا المقتضب هذا بمطالبه الأربعة.

---

[3] د. ، الجامعة العراقية، العراق، mujamart@gmail.com
[4] د. ، الجامعة العراقية، العراق

المبحث الأول: التوسع في المعنى القرآني

عُدَّت العربية أوسع اللغات ثروة، وعُدَّ ((لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً))(1)؛ وذلك لما أتيح لها من ظروف وعوامل ساعدت على آتساع طرائق آستعمالها، وزيادة مفرداتها، وتنويع دلالاتها وأساليبها؛ لذا وصفت بأنها ((أغزر اللغات السامية مادة، وأكثرها تنوعاً في الأساليب، وأدقها في القواعد))(2)؛ وبذا ((وهب الله اللغة العربية مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحي أحسن تدوين... بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن تعبر عنه بعبارات عليها طلاوة، وفيها متانة))(3).

لقد ((خاطب الله عز وجل بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها آتساع لسانها))(4)؛ ومن ثم جاء ((بيان كل مبين على قدر إحاطة علمه... وبلاغة البيان تعلو على قدر علو المبين، فعلو بيان الله جل جلاله على بيان خلقه بقدر علو الله على خلقه!))(5)، و((فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه))(6).

فـ((لسان العرب أوسع الألسن ساحة، وأعمقها عمقاً، وأغمرها باحة، وأرفعها بناء، وأفصحها لفظاً، وأبينها معنى، وأجلها في النفوس وقعاً))(7). وبحكم ما تتسم به من ثراء وسعة؛ فقد ((أتاحت لنا العربية مرونة تعبيرية تندرج من أخمص رجل الشارع إلى مفرق الفيلسوف؛ لما فيها من ثروة هائلة على صعيد المفردات، ووسائل البيان، وضروب البلاغة، وأنواع المجازات والتشبيهات والاستعارات؛ ولما فيها من مرونة على صعيد التراكيب؛ من حيث التقديم والتأخير، والحذف والقصر، والإيجاز والإطناب... وغير ذلك من مظاهر العراقة والمرونة على مستوى الأصوات، والدلالات، والتصريف، وطرائق التعبير؛ التي تنصب كلها دليلاً على الرقي الفكري للعرب قبل الإسلام وبعده! وهو الذي أكسب اللغة العربية طاقة هائلة على آستيعاب المعاني الغزيرة في الكلمات القليلة، مما لا تألفه أية لغة من لغات العالم))(8).

إن من دلائل الإعجاز في التعبير القرآني، أو من دلائل الإعجاز في عبارة القرآن: تميزه عن غيره من الكلام البليغ بكثرة الاحتمالات؛ فإن كلام البشر كلما كان أبلغ؛ كان أدل على المطلوب، وأبعد عن الاحتمالات؛ في حين إن القرآن بما أنه صوت الغيب الموجه إلى مسامع الدهر والوجود، يعي كل زمن من أزمنته وكل معنى من معانيه بقدر ما يكون فيه من مقاييس الفكر وتطورات العلم؛ فمن ثم تجد الإنسان في كل عصر ومصر يشعر إذا تلا القرآن أن حقائقه تتجلى أكثر ما تتجلى في العصر الذي هو فيه!

و((إن الكلمات أو الجمل القرآنية قد تكون ذوات أكثر من معنى، وإن بعض هذه النصوص صالحة لأن تدل على أكثر من معنى، وإنه لا داعي لصرف النص عن أحدها، وقصره على واحد منها دون غيره؛ لما في ذلك من تحكم يأباه العقل، وتأباه اللغة، وتأباه الأساليب البيانية الرفيعة))(9)، وأن الدلالة تكون قابلة للاتساع كلما كانت العلة مختفية غير معروفة وغير محددة؛ وذلك أن الارتباط الجامع بين الدال ومدلوله كان عن طريق علة جوهرية خفية هي التي منحت هذا الارتباط مرونته وآتساعه، وأحدثت كل هذا الامتداد المقصود في المجال الدلالي للفظ، ((فيجب على العلة - إذاً - أن تختفي لمصلحة المعنى، أما إذا حدث العكس؛ فإنها ستقلص المعنى!))(10).

على أن هذا التوسع أو ذاك في دلالات المفردات والتراكيب القرآنية المجيدة ليس كما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة على أنه عدم وضوح في المعنى، أو أنه غموض في الدلالة؛ بل هو على العكس من ذلك تماماً؛ لأن العبارة كلما كانت أغزر معنى، وأعمق دلالة؛ كانت مكمن إيحاء، ومبعث جمال؛ ولا سيما إذا كانت هذه السعة في المعاني راجعة إلى صورة كلية مؤكدة من جوانب شتى يعضد بعضها بعضاً لرسم مشهد تصويري في أداء فني رائع(11).

وهكذا؛ فإن هناك العديد من الألفاظ القرآنية الكلية التي تشكل أغطية شفيفة تضم تحتها العديد من الدلالات، مشكلة بدورها حقولاً دلالية ثرة. وليس بالضرورة دائماً - لفهم مدلولات تلك الألفاظ - أن نحدد حقول الأدلة على نحو دقيق؛ بل - على العكس من ذلك تماماً - يعد إبقاء حكم العموم، وإطلاق تعدد الاحتمالات عليها ضرورة لغوية ملحة ترسم لعالم اللغة القرآنية الفسيح إطاراً واسعاً ومقصوداً للتعامل مع حقيقة هذا المصطلح أو ذاك؛ وذلك من أجل آستنباط أكبر قدر ممكن من المعاني الواردة التي يحتملها النص الكريم، والإفادة منها جميعاً(12).

فـ((قدرة الكلمة على التعبير عن مدلولات متعددة إنما هي خاصية من الخواص الأساسية للكلام الإنساني، وإن نظرة واحدة في أي معجم من معجمات اللغة لتعطينا فكرة عن كثرة ورود هذه الظاهرة؛ بل إن شحنة المعاني التي تحملها بعض الكلمات تدعو إلى الدهشة!))(13). ومنها فإن واحداً من أسخى منابع العطاء في القرآن المجيد ولغته الثرة: آجتماع

المعاني الكثيرة للكلمة الواحدة باللفظ الواحد في كلام واحد، فإذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتملها الآية بلا تضاد؛ وجب تفسير الآية بها جميعاً(14).

ومن هنا، يمكننا وصف الجملة القرآنية بأنها تراكمية، قائمة على تكثيف المعنى وإيجازه، مع الوفاء به، وٱشتماله والإحاطة بحيثياته من جميع الجوانب! وهذا معنى قوله سبحانه: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً)(15)، وقوله عز وجل: (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم)(16)! وقد يتساءل بعض الناس: كيف تكون هذه الميزة للتعبير القرآني؟! وكيف يعجز العرب عن الإتيان بمثله؟! مع أنه لم يأت بجديد من الحروف والكلمات؛ فحروفه هي حروفهم التي ألفوها، وكلماته هي كلماتهم التي عرفوها!

للإجابة عن هذا التساؤل نقول: إن صنعة البيان كصنعة البنيان؛ فالمهندس الماهر لا يأتي بمادة جديدة في البنيان؛ ولكن يظهر تفوقه بحسن التصميم، وباختيار النوع الجيد من مادة البناء، وبترتيبه للغرف والأبهاء؛ حتى تتسع المساحة الصغيرة من الأرض لكثير من الحجر التي لم تكن لتتسع لها لولا عمارة الهندسة وحسن الترتيب، وحتى يتخللها الضوء والهواء... إلى غير ذلك من نحو خفة السقف، ومتانة الأسس! فكذلك يكون التفاوت في صنعة البيان: في جودة المعاني، وترتيب الكلمات؛ وإلا فالحروف هي الحروف، والكلمات هي الكلمات! فالناس يصنعون من مادة التراب أنواع الأوعية الخزفية والآجر وسائر المصنوعات المألوفة، وهي كلها من أنواع الجمادات الميتة. والله سبحانه وتعالى صنع من التراب نفسه الإنسان، وجميع عناصر التراب موجودة في جسمه، وقد نفخ فيه من روحه؛ فسرت الحياة إلى كل خلية من خلاياه، وأودع فيه من الغرائز والطبائع والأحاسيس والأفكار ما يؤهله لأن يكون خليفته في الأرض! وهكذا مثل الفارق بين كلام الله جل جلاله الخالق وكلام الناس المخلوقين؛ وإلا فالحروف هي الحروف، والكلمات هي الكلمات؛ ولكن لكلام الله سبحانه وتعالى روح تميزه ليست في كلام الناس، وبسبب هذه الروح كان هذا القرآن سارياً في نفس أي إنسان سريان الروح في الجسم والبدن، والضوء في الفضاء والأفق، والماء في اللحاء والشجر(17)!

فـ((الكلام الذي يمكن أن يدل على معنيين فأكثر معاً في وقت واحد مع عدم التضاد بينها، ولا دليل يدل على صرف الكلام عن أحدها، ويبين أنه غير مراد؛ فإن المعاني تكون مرادة معاً، ويحمل الكلام عليها معاً... وهو من الفنون البلاغية العالية القائمة على الإيجاز، والتي فيها عطاء فكري ثر، وإمتاع للأذكياء، وفيه ٱستغناء عن ذكر اللفظ مراداً به بعض ما له من معان بقرينة، ثم ذكره مراداً به بعض آخر بقرينة أخرى؛ فذكره مرة واحدة مراداً بها جملة المعاني التي يدل عليها أوسع لدلالته، وأعم لفائدته، وأثرى لمعانيه... إن هذا من عناصر الإيجاز القرآني، ومن دلائل الإعجاز البلاغي فيه؛ ولا سيما إذا كان الموضوع من الفكريات العامة التي لا تتضمن أحكاماً شرعية محددة بحدود لا مرونة فيها!))(18).

وأمثلة التراكم الدلالي في اللغة العربية عموماً، وفي القرآن المجيد على وجه الخصوص كثيرة جداً، لا طاقة لأحد بعَدِّها وٱستقصائها؛ فهي ذات مظاهر متعددة، وجل ما قام به المختصون بهذا الشأن هو الدوران في فلكها، والاغتراف من معينها؛ كالذي ورد في ألفاظ: «القرء»(19)، و«عسعس»(20)، و«راق»(21)، و«التسكير»(22)، و«حل»(23)، و«العرف»(24)، و«السفهاء»(25)، و«هلوع»(26)... إلخ.

إن من دلائل الإعجاز في التعبير القرآني، أو من دلائل الإعجاز في عبارة القرآن: تميزه عن غيره من الكلام البليغ بكثرة الاحتمالات؛ فإن كلام البشر كلما كان أبلغ؛ كان أدل على المطلوب، وأبعد عن الاحتمالات؛ في حين إن القرآن بما أنه صوت الغيب الموجه إلى مسامع الدهر والوجود، يعي كل زمن من أزمنته وكل معنى من معانيه بقدر ما يكون فيه من مقاييس الفكر وتطورات العلم؛ فمن ثم تجد الإنسان في كل عصر ومصر يشعر إذا تلا القرآن أن حقائقه تتجلى أكثر ما تتجلى في العصر الذي هو فيه!

فالدلالة تكون قابلة للاتساع كلما كانت العلة مختفية غير معروفة وغير محددة؛ وذلك أن الارتباط الجامع بين الدال ومدلوله كان عن طريق علة جوهرية خفية هي التي منحت هذا الارتباط مرونته وٱتساعه، وأحدثت كل هذا الامتداد المقصود في المجال الدلالي للفظ، ((فيجب على العلة - إذاً - أن تختفي لمصلحة المعنى. أما إذا حدث العكس؛ فإنها ستقلص المعنى!))(27).

على أن هذا التوسع أو ذاك في دلالات المفردات والتراكيب القرآنية المجيدة ليس كما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة على أنه عدم وضوح في المعنى، أو أنه غموض في الدلالة؛ بل هو على العكس من ذلك تماماً؛ لأن العبارة كلما كانت أغزر معنى، وأعمق دلالة؛ كانت مكمن إيحاء، ومبعث جمال؛ ولا سيما إذا كانت هذه السعة في المعاني راجعة إلى صورة كلية مؤكدة من جوانب شتى يعضد بعضها بعضاً لرسم مشهد تصويري في أداء فني رائع(28).

وهكذا؛ فإن هناك العديد من الألفاظ القرآنية الكلية التي تشكل أغطية شفيفة تضم تحتها العديد من الدلالات، مشكلة بدورها حقولاً دلالية ثرة. وليس بالضرورة دائماً - لفهم مدلولات تلك الألفاظ - أن نحدد حقول الأدلة على نحو دقيق؛ بل - على العكس من ذلك تماماً - يعد إبقاء حكم العموم، وإطلاق تعدد الاحتمالات عليها ضرورة لغوية ملحة ترسم لعالم اللغة القرآنية الفسيح إطاراً واسعاً ومقصوداً للتعامل مع حقيقة هذا المصطلح أو ذاك؛ وذلك من أجل ٱستنباط أكبر قدر ممكن من المعاني الواردة التي يحتملها النص الكريم، والإفادة منها جميعاً(29).

ومن ثم نجد ((القرآن الكريم يستثمر دائماً برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني. أجل؛ تلك ظاهرة بارزة فيه كله؛ يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز، ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب؛ ولذلك نسميه إيجازاً كله؛ لأننا نراه في كلام المقامين لا يجوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف ميلاً ما، ونرى أن مراميه في كلام المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلي بأقل من ألفاظه، ولا بما يساويها؛ فليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى))(30).

ومن نافلة القول وتمام الفائدة أن نعرف الأثر المعنوي لما ٱصطلح عليه ٱسم: «المفهوم الإشاري» في القرآن الكريم؛ إذ تتيح اللغة - بما تمتلكه من طاقة إيحائية وتوليدية هائلة - لذهن المتلقي أن ينطلق إلى عوالم تكمن وراءها، يكتشف المتلقي أبعاد هذه الطاقة حين يحاول الوصول إلى الفهم بغية تحقيق التواصل. والمفهوم الإشاري - كواحد من مصادر تلك الطاقة المتفجرة - يتولد عن اللغة عندما تتجاوز وظيفتها الرئيسة إلى أن تكون موظفة لرسم شبكة من العلاقات ومد جسور من الصلات مع معنى بعيد عن منطوقها، يمكن إدراكه والكشف عنه من خلال الإسهام المشترك لعناصر السياق، والمقام، والخلفية المعرفية إسهاماً فاعلاً، فضلاً عن اللغة. ومن هنا ظهرت قضية عدم كفاية اللغة وحدها لتأدية هذا المعنى اللاقولي! وقد تنبه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله إلى هذا الصنف من المعاني؛ إذ يقول: ((إن المعاني تفضل عن الأسماء، والحاجات تجوز مقادير السمات، وتفوت ذرع العلامات!))(31)؛ فأشار رحمه الله بذلك إلى وقوع واحد من أنواع التواصل يقصده المتكلم؛ إلا أنه غير مباشر الوصول إلى الذهن!

فاللغة لا تنهض وحدها هنا لتأدية هذا المعنى، وقد شغلت هذه القضية فكر الجاحظ رحمه الله، وأولاها من عنايته وٱهتمامه القدر البالغ(32)؛ ومن هنا أصبحت علاقة المفهوم الإشاري بالتواصل خارجة بالدلالة إلى فضاء أوسع من ثنائية الدال والمدلول إلى البحث في مدلول الدال ومدلول المدلول! فـ«الإشارة» وسيلة من وسائل الفهم وتحقيق التواصل بغير اللفظ، ومنها إلى ظل المفردات المنعكس في الذهن؛ أي: ما وراء اللغة(33)!

فكما يوجد في اللغة مدلول مباشر سطحي، يمكن التوصل إليه بالاكتفاء باللفظ؛ يوجد فيها كذلك مدلولات أخرى لا يمكن اللغة النهوض بها وحدها؛ لتفاوت مراتب إدراك هذا الصنف من المعاني، وعدم القدرة على إيجاد حد فاصل يحدها؛ فهي متعلقة بفضاء النص وما يتيحه للمتلقي من مجال ٱنتقالي إلى باطن اللفظ لاستكناه مقاصده؛ إذ إن ((المعنى فيه يستدعي مستوى في التعبير عن معنى لا سلطان للقدرات البلاغية والبيانية للمتكلم عليه؛ إذ ليس في مستطاعها أن تسوي بين أقدار المعاني لتستوي الألفاظ! ومن هنا جاءت الحاجة إلى التفسير، ثم التأويل؛ لأن طاقة اللغة على الإفصاح والإبانة محدودة؛ بحيث لا يمكن أن يكون المعنى دائماً في ظاهر اللفظ!))(34).

إن ٱنتقال المفردة من حقل دلالي إلى آخر بحكم ما يمليه عليها المفهوم الإشاري - مباشراً كان، أو غير مباشر - يعمل على توسيع دلالتها، وفتح آفاقها رحبة للمعاني، كما يوجد مجالاً حركياً للمتلقي؛ ذلك أن المفردة تأتي وهي محملة بموروثها المعرفي بالنسبة للمتلقي إلى السياق الذي تفد إليه؛ لتلقي بحمولتها المعنوية، وتثري السياق، وتستفز وعي المتلقي لاستكناه الظل الذي نشرته في سياقها الجديد! كالذي ورد في مصطلح «السلخ» وما فيه من ٱستعارة بليغة في قوله تعالى: (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون)(35)؛ إذ أفاد النص الحكيم من حركة الاستبدال القائمة بين المفردات، وأصبحت من خلال هذه الحركة المصورة لخروج النهار من الليل تتجاوز محدودية الرؤية البشرية القاصرة إلى الإشارة لما يرافق هذه الحركة المنظمة من صعوبة تتطلب وجود قدرة أو يد قادرة على تحريك هذا الكون بأسره مع

ٱمتداده وٱتساعه! وبذا ترتقي هذه الحركة لتكون آية منظورة باهرة للناس في الكون، كآيتها المعجزة المسطورة في اللوح(36)!

وٱنطلاقاً من أهمية هذا اللون من المفاهيم اللغوية، وإدراكاً لأبعاده، ووعياً لدوره في توسيع نطاق مدلولات ألفاظ اللغة وإثرائها، وإخراجاً لها من دائرة المفهومات المعجمية على سعتها وتشعبها؛ فقد ٱستنبط علماؤنا الأوائل رحمهم الله لوناً ومنهجاً مستقلاً بذاته في تفسير آي الذكر الحكيم، له كيانه الخاص، وله ضوابطه وحدوده ومميزاته، ٱصطلحوا على تسميته بـ«التفسير الإشاري»(37)، ومن أشهر ما كتب فيه: «تفسير القرآن العظيم»، لسهل التستري (ت283هـ)، و«حقائق التفسير»، لأبي عبدالرحمن السلمي (ت412هـ)، و«عرائس البيان في حقائق القرآن»، لأبي محمد الشيرازي (ت606هـ)... إلخ.

إن النص القرآني نص ثري، كريم، وذو مستوى عال ورفيع؛ لذا فمن البديهي أن تكون ٱستجابته للمعاني ((ليست ٱستجابة يفتعلها المفسر أو يفرضها وفقاً لمعارفه ومعارف عصره؛ وإنما تعود هذه الاستجابة إلى كون النص القرآني يوحي بتخليق المعاني في داخله وفي أعماقه))(38)، وقد أكد القرآن الكريم نفسه في نصوصه البينة كثرة معاني هذا الكتاب الكريم إلى غير نفاد، منها قوله سبحانه: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً)(39)، وقوله عز وجل: (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم)(40)!.

وإن اللغة العالية التي ٱمتازت بها نصوص الذكر الحكيم تعد عاملاً آخر مهماً منحها القدرة على الجود بالمعاني المتنوعة، وهبة المفاهيم الجديدة؛ فهي - بلا غرو - المفتاح لدخول القارئ والمفسر إلى عالم النص الفسيح، وٱستنباط دلالاته، وٱستخراج أحكامه وحكمه؛ إذ ٱختار الله سبحانه وتعالى لكتابه من بين الألسنة اللسان العربي؛ لأنه المظهر للمعاني والمقاصد الذهنية أتم إظهار؛ فشرفت بذلك اللغة، وعلا شأنها، وبلغت من السموق شأواً لا تدانيها فيه أية لغة أخرى(41).

ومن هنا؛ فإنك غالباً ما ((تمر بالآية الواحدة؛ فتتأملها وتتدبرها؛ فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على ٱختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك؛ فلا تك من كثرتها في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها منافياً للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحاً بذلك؛ فمختلف المحامل التي تسمح بها كلمات القرآن وتراكيبه وإعرابه ودلالته: من ٱشتراك، وحقيقة ومجاز، وصريح وكناية وبديع، ووصل ووقف... إذا لم تفض إلى خلاف المقصود من السياق؛ يجب حمل الكلام على جميعها... وعلى هذا القانون يكون طريق الجمع بين المعاني التي يذكرها المفسرون، أو ترجيح بعضها على بعض. وقد كان المفسرون غافلين عن تأصيل هذا الأصل؛ فلذلك كان الذي يرجح معنى من المعاني التي يحتملها لفظ آية من القرآن يجعل غير ذلك المعنى ملغى! ونحن لا نتابعهم على ذلك؛ بل نرى المعاني المتعددة - التي يحتملها اللفظ بدون خروج عن مهيع(42) الكلام العربي البليغ - معاني في تفسير الآية))(43).

وإنك لـ((تقرأ القطعة من القرآن؛ فـ... يخيل إليك أنك قد أحطت به خبراً، ووقفت على معناه محدوداً. هذا، ولو رجعت إليه كرة أخرى؛ لرأيتك منه بإزاء معنى جديد غير الذي سبق إلى فهمك أول مرة! وكذلك؛ حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوهاً عدة، كلها صحيح أو محتمل للصحة، كأنما هي فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعاً، فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة؛ بهرتك بألوان الطيف كلها؛ فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع! ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك؛ رأى منها أكثر مما رأيت! وهكذا نجد كتاباً مفتوحاً مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له؛ بل نرى محيطاً مترامي الأطراف، لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال!))(44).

ومن رام المزيد؛ فدونه كتب التفسير؛ فإنها حافلة بالأمثلة، زاخرة بالشواهد؛ ولا سيما منها تفسيرا الإمامين الجليلين: الطبري، الموسوم بـ«جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، والماوردي، الموسوم بـ«النكت والعيون»؛ إذ ٱستقصى كل منهما سبحانه وتعالى - إلى حد بعيد - أقاويل الأئمة والعلماء رحمهم الله وآراءهم حول المعاني التي دلت عليها اللفظة القرآنية الكريمة، أو الآية المباركة، أو النص المحكم. وصدق الله العظيم؛ القائل: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً)(45)، و(ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من

بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم)(46)! وروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ((من أراد العلم؛ فليثور القرآن(47)؛ فإن فيه علم الأولين والآخرين!))(48).

ومما يجدر التنويه به والتنبيه عليه أن التوسع في المعنى القرآني ظاهرة عامة شاملة، لها تجليات شتى، وهي مكتنفة للعديد من الظواهر الأخرى، وهي تمثل واحدة من أبهى صور الإعجاز وأبلغ مظان الإيجاز في التعبير القرآني الحكيم؛ فلا غرابة ثم أن تتخذ صوراً شتى وأشكالاً عديدة قد يكون حصرها والإحاطة بها خارج طوق البشر؛ ولكن لا يضيرنا أن نحوم حول طائفة منها مما تسنح لنا به الفرصة ويسمح المقام، ومن أبهى تلك الصور الآتي:

المبحث الثاني: المشترك اللفظي

يعد «المشترك اللفظي» من أسباب التوسع في التعبير اللغوي والقرآني؛ فما دام فقهاء اللغة يقرون بأن الكلمة يكون لها من المعاني بقدر ما لها من الاستعمالات؛ فإن كثرة الاستعمال تلاحظ في الألفاظ المشتركة؛ فيتسع التعبير في العربية عن طريق الاشتراك(49).

كما يعد آية بينة، وعلامة واضحة، كثيرة الورود ليس في لغتنا العربية فحسب؛ بل إنه بات معلماً بارزاً تشترك فيه سائر اللغات الحية؛ حتى عُدَّ - بكثرته وتواتره - عاملاً فاعلاً من عوامل تنميتها، ومعلماً بارزاً من معالم حيويتها وروائها وآزدهارها. وقد تنبه العلماء له، وأشاروا إلى شواهده وإلى المعاني التي تدور ألفاظه حولها، وتسبح في فلكها.

وفي كتب المعاجم اللغوية مادة غزيرة عن المشترك اللفظي، وقد أفرد هذا العلم بتآليف خاصة، آصطلح على تسميتها: «كتب الوجوه والنظائر»، صبت جل آهتمامها على ألفاظ القرآن الكريم(50).

جدير بالذكر أن من المشترك ما يدل على واحد من المعاني التي يخرج إليها. ومنه ما يدل على المعاني كلها أو جلها؛ إذ ((إن الكلام الذي يمكن أن يدل على معنيين فأكثر معاً في وقت واحد، مع عدم التضاد بينها، ولا دليل يدل على صرف الكلام عن أحدها ويبين أنه غير مراد؛ فإن المعاني تكون مرادة معاً، ويحمل الكلام عليها معاً... إن الكلمات أو الجمل القرآنية قد تكون ذوات أكثر من معنى، وإن بعض هذه النصوص صالحة لأن تدل على أكثر من معنى، وإنه لا داعي لصرف النص عن أحدها، وقصره على واحد منها دون غيره؛ لما في ذلك من تحكم يأباه العقل، وتأباه اللغة، وتأباه الأساليب البيانية الرفيعة... إن هذا من عناصر الإيجاز القرآني، ومن دلائل الإعجاز البلاغي فيه؛ ولا سيما إذا كان الموضوع من الفكريات العامة التي لا تتضمن أحكاماً شرعية محددة بحدود لا مرونة فيها!))(51).

وفي هذا السياق جاء في كتاب: «قواعد التدبر الأمثل» للميداني ما نصه: ((مهما أمكن الجمع بين التفسيرات الجزئية التي تندرج في معنى كلي؛ فهو الأولى بأن يكون منهج المتدبر لكلام الله عز وجل. فإذا ورد في تفسير نص ذي معنى كلي تفسيرات هي من قبيل التطبيقات، أو التفسيرات الجزئية التي تندرج جميعها - وغيرها - تحت المعنى الكلي الذي يشملها... فالأولى حمل النص على المعنى الكلي العام، ولا داعي لتخصيصه بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير؛ إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصه حتماً، ولم يرد النص على أنه قاعدة كلية عامة، وما في السياق أحد أفرادها.

فكثيراً ما يأتي في التفاسير تفسير المراد من الكلمة أو الجملة القرآنية بعدة وجوه. ولدى التمحيص والتحليل والتأمل؛ يظهر أن هذه الوجوه هي من قبيل التطبيقات الجزئية، أو المعاني الجزئية لدلالة الكلمة أو الجملة القرآنية ذات المعنى الكلي العام الذي يشملها جميعاً؛ فهي تصلح لأن تدل عليها جميعاً من دون تخصيص بواحد منها أو أكثر. وما جاء عن المفسرين - ولو كان مأثوراً عند الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم - إنما هو تفسير للنص القرآني ببعض ما يدل عليه من جزئيات أو أفراد!))(52).

وأضاف الميداني قائلاً: ((والمنهج الأمثل لمتدبر كلام الله عز وجل هو أن يبقي اللفظة، أو الجملة القرآنية على دلالتها الكلية ومعناها الشامل؛ حتى تدل على كل الجزئيات، أو الأفراد والصور التي يمكن أن تكون مشمولة بها؛ ما لم يقم الدليل على التخصيص ببعض الجزئيات، أو الأفراد، أو الصور دون بعض. وعلى هذا تجمع أقوال المفسرين مهما آختلفت، وتعد مدلولاً عليها بالنص في شموله، ويظل المعنى الكلي للنص شاملاً كل ما يمكن أن ينطبق عليه من جزئيات، أو صور، أو أفراد، من دون تخصيص ببعضها إلا بدليل مخصص))(53)؛ إذ لم يدل الله عز وجل بظاهر تنزيله، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا بحجة عقل، على أنه عنى بهذا النص أو ذاك في أحيان كثيرة نوعاً معيناً دون نوع؛ فيكون الكل داخلاً في الحكم العام؛ إذ له وجه في الصحة، ومخرج في التأويل(54).

ومهما يكن من أمر؛ فإن تعيين المدلول الرئيس للفظ المشترك بحاجة إلى مزيد من الوعي اللغوي؛ بحيث لا يلزم من تحديد مدلوله النواة تعطيل لمطاطية الألفاظ داخل النظام اللغوي التي هي طبيعة كل عناصر اللغات التي تنزع نحو التجدد والتغير والتكيف مع الأوضاع المستجدة؛ وإن كان الغالب من العناصر اللغوية هي المفيدة لمدلول واحد نواة(55).

ومن ذلك: دلالات ألفاظ: «القرء»(56)، و«العين»(57)، و«عسعس»(58)، و«الظن»(59)، و«خفافاً وثقالاً»(60)، و«سامدون»(61)... إلخ. فـ((إذا وجدت في الكتاب العزيز آية تحتمل معنيين، وليس بينهما مناقضة؛ فاحملها على المعنيين؛ لأن القرآن أشمل وأوسع))(62)؛ إذ لم يدل الله عز وجل بظاهر تنزيله، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا بحجة عقل، على أنه عنى بذلك نوعاً دون نوع؛ فالكل داخل في الحكم العام؛ إذ له وجه في الصحة، ومخرج في التأويل(63)؛ ذلك أن القاعدة الأصولية والتفسيرية الكلية حاكمة بحمل الاسم المشترك على جميع مسمياته إذا ورد مطلقاً؛ ما لم تدل قرينة على التخصيص، وأنه إذا آحتمل اللفظ معنيين فأكثر، ولم تمتنع إرادة الجميع؛ حمل عليها جميعاً؛ وإلا كان الحامل على أحدها متحكماً فيما ليس له فيه يد، وأنه يجب - تبعاً لذلك - حمل نصوص الوحي الحكيم على العموم؛ ما لم يرد نص ثابت بالتخصيص؛ فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير، ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل!

وختاماً؛ فإن كثرة ورود ظاهرة «المشترك اللفظي» لا تشين اللغة، ولا تنهكها، ولا تدل على ضعفها أو ضيقها وقلة ألفاظها؛ بل - على العكس من ذلك تماماً - تدل على شجاعتها وآتساعها ومرونتها وعطائها؛ لأن آستعارة العرب لفظ الشيء ((إنما هي من آتساعهم في الكلام آقتداراً ودالة، ليس ضرورة، ألا ترى أن للشيء عندهم أسماء كثيرة، وهم يستعيرون له مع ذلك؟! على أنا نجد أيضاً اللفظة الواحدة يعبر بها عن معان كثيرة... وليس هذا من ضيق اللفظ عليهم؛ ولكنه من الرغبة في الاختصار، والثقة بفهم بعضهم عن بعض))(64).

وإن قدرة الكلمة على التعبير عن الفكر أو المعاني المتعددة، وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة يقوم دليلاً على ((حيوية اللغة ورواجها، فكيف ننادي لفائدة أحادية المعنى؟! علماً بأن أحادية المعنى لا يمكن أن تقوم إلا بتحجير اللغة والقضاء على حركتها؛ أي: قتلها! وعلماً كذلك بأن المجاز والسياق يعرضان اللفظ للتوسع الدائم!))(65).

وهكذا يبقى المخزون اللفظي للغة - مهما آتسع وتنامى - قاصراً عن الوفاء بمطالب التعبير؛ ولا سيما في مجال الأفكار المجردة ونوازع النفس البشرية وآنفعالاتها وأحاسيسها الدقيقة المتشعبة؛ فلا غنى للإنسان في تواصله ونشاطه اللغوي بمختلف أشكاله عن آستعمال آخر أو آستعمالات أخرى متعددة للكلمات التي يضعها أو يرثها(66).

إن وجود كلمة مستقلة خاصة بكل شيء يتداوله الناس أمر صعب للغاية؛ لأنه يفرض عبئاً ثقيلاً على الذاكرة، هذا إن آستطاعت هذه الذاكرة أن تحيط بكل ما يتواضع عليه أفراد الجماعة من الألفاظ! لقد ثبت أنه لا قدرة للإنسان على الإحاطة بكل مفردات اللغة، وأنه حتى لو كرس شخص ما وهب من قوة الحفظ جهداً خاصاً لاستظهار قسط وافر من هذه المفردات في مدة معينة من الزمن؛ فإن المشكلة أو الصعوبة تبقى قائمة في قدرة هذا الشخص على آسترجاع ما حفظ أو آستظهر بعد توالي الزمن؛ إذ يتعذر على ذاكرة الإنسان - مهما قويت وآتسعت كما قرر علماء النفس - أن تحتفظ بكل ما أودع أو آختزن فيها من معلومات لأمد طويل! ومع هذا الافتراض؛ فإن الإنسان يجد في «المشترك اللفظي» ما يسعفه في التعبير عن أغراضه؛ وإن كان محصوله من ألفاظ اللغة عامة قليلاً، ودونما أدنى تعرض لما يرهق ذاكرته، أو يعصر ذهنه، أو يستنزف جهده(67)!

((إن اللغة في آستطاعتها أن تعبر عن الأفكار المتعددة بواسطة تلك الطريقة الحصيفة التي تتمثل في تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة، وبفضل هذه الوسيلة تكتسب الكلمات نفسها نوعاً من المرونة والطواعية؛ فتظل قابلة للاستعمالات الجديدة من غير أن تفقد معانيها القديمة))(68)، كما تبدو اللغة مع تلك الظاهرة فضفاضة، مرنة، تعمل على توسيع المعاني المختلفة، ومواءمة المقامات المتباينة، وملاءمة المواقف المتعددة(69).

إن اللغة الرحبة التي يجد فيها أهلها سعة في آختيار الكلام المناسب - وبخاصة منهم من يعمل في حقل الإبداع والتأليف - يكون الاشتراك فيها عاملاً فعالاً لتجويد قاموسها المعجمي، وإثرائه بالتجديد في عناصره، وإبداع طرق متنوعة تزيد من حيويته، وتبعثه جذعاً(70) كلما تقادم عليه الزمن، وتبقى اللغة معها محافظة على مرونتها، وسعة أفقها، ودقة نظامها.

وإن وجود الاشتراك وتعدد وجوه نصوص الشرع الحكيم كان سبباً في آختلاف المفسرين وعلماء الفقه والأصول في تأويل كثير من آيات القرآن، وبيان مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة؛ ما أدى إلى الاختلاف والتنوع في آستنباط كثير من الأحكام الفقهية أو تقريرها، وفي تحديد بعض الأفكار والمواقف العقائدية إزاءها، وزج بالأصوليين والفقهاء والمتكلمين للاهتمام بتلك الظاهرة الخطيرة وبالمسائل الأخرى المتعلقة بدلالات الألفاظ عامة(71).

المبحث الثالث: القراءات القرآنية

يعد ((القرآن الكريم وقراءاته المصدر الأول والأوثق من مصادر التشريع اللغوي والنحوي؛ فعليهما آعتمد جل النحاة في بناء قواعدهم؛ بل كان الغرض الأول من وضع النحو هو المحافظة على هذا الكتاب الكريم، وصيانته عن وقوع اللحن فيه؛ فلم تكن النحاة بمنأى عن القرآن الكريم وقراءاته وقرائه؛ بل تعاونوا جميعاً في خدمة هذا الكتاب العظيم... فالقراء بصدد توثيقه سنداً ورواية، وتنحية ما لم يرد منه موثقاً، والنحاة بصدد توثيقه إعراباً وآلتزاماً في قراءته بالصورة التي نزل بها بلسان عربي مبين))(72)؛ وفي هذا السياق يقول الدكتور عبدالله آبن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ((فالذي يوجد في القرآن من الأساليب حاكم على اللغة، ومع التتبع التام لا توجد مسألة واحدة في كتاب الله سبحانه وتعالى إلا ولها وجه في اللغة العربية فصيح مستفيض))(73)؛ لذا عد ((الكلام العربي - وفي مقدمته القرآن والسنة - مصدر هذه القواعد، منه نشأت، وعنه أخذت؛ فهو الأصل، وهي الفرع، ولا يعترض بالفرع على الأصل))(74).

ومن هنا؛ كانت القراءات القرآنية كانت مادة أساسية غزيرة من مواد الدرس النحوي، وما الاختلاف الحاصل فيها إلا السبيل والمنطلق إلى بلوغ لغة قرآنية منشودة وسليمة من كل زلل أو لحن قد يقع فيه من يجهل القراءات القرآنية وما هي عليه من سلامة في اللغة وسلاستها ومرونتها! فلا سبيل آلبتة - والحال تلك - لتخطئة القراءات القرآنية إذا ما توافرت لها شروط القراءة الصحيحة، ولم تخرج عن مقاييس اللغة نثرها وشعرها؛ لأنها ستكون آنئذ توقيفية، واجبة القبول والاتباع، فكيف وهي لم تخرج - في غالبها - عن مرسوم القواعد اللغوية والدلالات النحوية(75)!

ومن العلماء من أقام ظاهرة تعدد القراءات مقام تعدد الآيات والكلمات وتعدد المعاني، وعدوا ذلك - والأمر حقاً كذلك - ضرباً من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز؛ إذ إن كل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية تكمل إحداهما الأخرى ولا تعارضها، وذلك من أمارات الإيجاز البياني ودلائل الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم؛ إذ دلت كل قراءة على ما تدل عليه آية مستقلة وتعبير قائم بذاته! ولو جعلت دلالة لفظ كل آية على حدتها؛ لم يخف ما سيكون في ذلك من التطريح والتطويل؛ ومن ثَمَّ ((دلَّ تنوُّعُ هذه الوجوه على أن مجيء ألفاظ القرآن على ما تحتمله لهو مما يكثر المعنى ويوسع من مجاله؛ فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مُجْزِءاً عن آيتين فأكثر... فيقوم تعداد القراءات مقام تعداد كلمات القرآن))(76).

تقوم القراءات القرآنية - في عموم أسلوبها - على تغيير في الحركات، وتغيير في الأبنية والصيغ، وتغيير في الألفاظ، وتغيير في الأصوات، وكل هذا يدل على تنوع في الأوجه التي نزل بها القرآن الكريم، وفي كل وجه من أوجه القراءة تفسير وبيان، وفي كل تنوع في الأساليب غناء ومزيد توضيح، وفي كل تغيير في الإعمال وفي الاستعمال معنى جديد وتقوية لمعنى سابق(77).

وأحد أهم ضربين من النصوص الحكيمة المشتملة على أوجه القراءات: ما تضمن معنى مراداً أو بياناً مقصوداً متصلاً بعنصر من عناصر إعجاز القرآن الكريم، وهو ذو غرض فكري أو بياني مقصود آبتداء(78)؛ لذا كان لزاماً ((على متدبر كتاب الله عز وجل أن يبحث عن المعاني وعن الصور البيانية الموصولة بإعجاز القرآن الكريم التي تدل عليها وجوه القراءات المختلفة التي لا يظهر فيها بوضوح أن الغرض من الاختلاف فيها مجرد التهوين والتسهيل على ألسنة الناطقين العرب إبان تنزيل القرآن؛ مراعاة للهجاتهم المختلفة وقواعد ألسنتهم))(79)!

وتتلخص أهم الأغراض المتوخاة من آختلاف القراءات ذات المعاني أو الصور البيانية المختلفة بالآتي:

❖ التكامل الفكري؛ فمن آختلاف القراءات في النص الواحد ما الغرض منه تأدية كل قراءة لمعنى لا تؤديه القراءة الأخرى؛ فتقوم القراءتان أو الأكثر مقام تعدد الآيات، وتؤدي القراءات المختلفات تكاملاً في المعاني المتوخاة جميعاً، وفي ذلك دلالة مقصودة في التنزيل على أكثر من معنى، أو تحقيق لأكثر من غرض بياني يتصل بإعجاز القرآن الحكيم ذي الوجوه

المختلفة؛ ٱستغناء بذلك التغيير الجزئي عن إنزال آيات كاملات لبيان المعنى الذي يضيفه التغيير الجزئي في النص الواحد، أو لتحقيق الغرض البياني الذي يتصل بإعجاز القرآن المجيد!

- ❖ التكامل في الأداء البياني.
- ❖ التنويع في الأداء الفني الجمالي.
- ❖ إثبات وجوه إعرابية متكافئة(80).

وبذا يتجلى لنا ما ٱشتملت عليه القراءات القرآنية من ((التلوينات الصوتية ذات الأثر الجمالي على بنية الدلالة في النص القرآني... وكل هذه الأشكال من التلوينات الصوتية في إطار القراءات القرآنية ٱنعقدت مقصديتها على معطيات الثراء الذي تمتاز به بنية هذه القراءات من ناحية، ثم جمالية الأداء البلاغي والنصي لهذا الأداء من ناحية أخرى!))(81).

المبحث الرابع: المجاز

«المجاز» في ٱصطلاح أهل الصنعة يعني: ((نقل العبارة عن موضع ٱستعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه. وهذه الأوصاف موجودة في المجاز، ولولا أن المجاز يتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة؛ لكانت الحقيقة أولى منه ٱستعمالاً))(82).

وقبل الولوج في ميدان هذا الموضوع الرحيب، الفسيح الأرجاء؛ لا بد لنا من معرفة أن اللغة إنما تتحدد فاعليتها بتوافر عنصرين ٱثنين: أما الأول؛ فنظام اللغة نفسها، وما تهبه من إمكانات ٱختيارية للمتكلم في بناء حدثه الكلامي. وأما الثاني؛ فطريقة هذا المتكلم في إخضاع هذه الإمكانات المتعددة إلى التحولات السياقية التي ينتج في ضوئها المعنى إنتاجاً تواصلياً تأثيرياً! وهكذا هي اللغة العالية، وهذه هي شيمة العربية المعطاء وديدن القرآن المجيد؛ كتابها الأكبر!

وتأسيساً على ما سلف؛ فليس بخاف على أحد إذاً أن اللغة تستعمل لأداء وظيفتين:

❖ **الأولى:** تواصلية تفاهمية، يشترك فيها المتكلمون من دون فضل سبق لأحد منهم على آخر؛ فيكون أداؤها مباشراً، وتكون عرفية في ألفاظها ودلالاتها، منطقية في بناء جملها.

❖ **والوظيفة الثانية:** تأثيرية جمالية - فضلاً عن الوفاء بوظيفة التواصل والإبلاغ - ؛ إذ تنبني على العدول والاختيار، والتساوق مع تحولات المقام؛ فتزخر بتلك التحولات السياقية والتبدل اللفظي. وهذه الوظيفة - كما في لغة القرآن الكريم، وأسلوب النبي الأمي المرسل صلى الله عليه وآله وسلم، والعالي من كلام العرب - هي ما تجعل اللغة أرواحاً تتنفس فيض الكمال والجمال؛ فيوجد فيها ريح الفن والخيال! فإن الخطاب القرآني نضاخ بالمعرفة والحياة، مليء بأسرار الوجود.

وقد ٱستجمع ذلك كله خطاب لغوي قرآني معجز، أخاذ بطريقة الأداء وإشراقاتها الروحية وفيضها الجمالي؛ ذلك أن القرآن العربي المجيد قد أتى على عربيته؛ فأحياها مرتين: أحياها من حيث أمات قدرة المعارضة والتحدي؛ فجاء خطاباً خلاقاً مستنفداً إمكانات هذه اللغة كلها! ولما كان القرآن الكريم يستعمل اللغة ٱستعمالاً جمالياً فنياً؛ فقد تعامَلَ معها تعامُلَ المستهلك والمنتج؛ فاستهلك طاقاتها الدلالية كلها، وأنتجها إنتاجاً فريداً، بالغاً من الجودة منتهاها؛ فجاءت ألفاظه مشدودة دوماً إلى حفز دلالي يتناسل، وهذا التناسل الدلالي ليعد بحق واحداً من أجل مظاهر التأثير والفن، وأجلى سبل بعث الجمال في آفاق الخطاب الإلهي، وأبرز هواتف الوحي الإيماني المعجز.

تأتي - إذاً - الألفاظ في السياق القرآني محفورة، منحوتة، قد ملئت دلالة وإشارة وإيحاء؛ فليس للمتأمل فيها الحق بأن يقف عند حدود الأبعاد المادية «العرفية» لهذه الألفاظ؛ فالقرآن المجيد حين ٱستعملها لم يكن ليقف عند تلك الدلالات المحدودة؛ فجاء حريصاً قاصداً إلى الإشباع الدلالي لهذه الألفاظ من الصوت والمعنى الأساس، إلى الإشارة والرمز، فالمعنى العاطفي والإيحائي(83).

لما كان «المجاز» يعد الجسر اللغوي الذي تنتقل عبره الدوال إلى المدلولات الجديدة، أو العكس؛ كان ذلك ((مظهراً على قوة الطاقة التعبيرية في اللغة، ولا أدل على ذلك من أن ظاهرة المجاز ظاهرة عامة لكل الألسنة، يلجأ إليها المجتمع اللغوي لتوليد المعاني الضرورية؛ خاصة في إغناء الرصيد المصطلحاتي الخاص بالتواصل العلمي المعرفي!))(84).

إن الاستعمال المجازي للألفاظ والتراكيب لذو قدرات خلاقة على الجود بمستويين من الكلام بدلاً من المستوى الواحد اليتيم الذي يتيحه الاستعمال الحقيقي ولا قبل له بسواه؛ ذانك المستويان هما: «المستوى الإخباري»، و«المستوى الفني الجمالي»؛ وهو مستوى تكون فيه الدلالة منمقة بالأشكال والوشي، مطرزة بالألوان، نابضة بالحياة، مفعمة بالحيوية، موحية بالحركة. وليست دلالة عادية، نمطية، سطحية، قريبة، ساذجة؛ دلالة يحتاج المبدع فيها إلى حدة الذهن، وقوة الخاطر، وحضور الشخصية، وهذا المستوى - بلا ريب - أوفر نصيباً عند الشعراء وبلغاء الكلام وأهل الصنعة؛ لأنهم أصحاب طاقات إبداعية متفجرة، وهذه الطاقات ((هي صاحبة القدرة على خلخلة الدلالة الوضعية، والخروج بها إلى تشكيلات لا يسمح بها المعجم؛ لأنها تسمح بتكوين صياغي متنافر الدلالة لا يمكن قبوله إلا من منطلق إبداعي!))(85).

و«المجاز» من أحسن الوسائل البيانية التي هدى إليها فن القول لإيضاح المعنى؛ إذ به يخرج متصفاً بصفة حسية أمام ناظري السامع حتى ليكاد يراه عياناً؛ ما حدا بأرباب البلاغة وجهابذة أهل الصناعة على الإطباق بأنه في الاستعمال أبلغ من الحقيقة، وأنه يلطف الكلام، ويكسبه حلاوة، ويكسوه رشاقة! ولعل من أسباب القول بأبلغية المجاز: صلاحه بأن يتوسع فيه معنى؛ إذ يعد وسيلة فنية لإثراء الدلالة، وتحقيق القوة التعبيرية على مستوى التركيب والنص؛ ومن ثَمَّ رأى البلاغيون أن المجاز علم البلاغة برمتها، وأنه أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة؛ لما فيه من قدرة خلاقة وعجيبة على إبراز المعاني في صورة المحسوسات، أو إبراز الشيء ببينة تشير إليه وتومئ إلى العلاقة الرابطة بينهما، أو لما فيه من شحذ الأذهان، وتجديد نشاطها؛ بعرض صور طريفة شتى تلفت الأنظار، وتنبه الخواطر، أو لأن العبارة المجازية تنقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الأحيان!

ومن ثم؛ فلا غرابة ((أن نطلق على اللغة العربية بأنها «لغة المجاز»، لا لكثرة التعبيرات المجازية فيها فحسب، فذلك قد يحدث في غيرها من لغات الحضارة؛ بل لأنها تجاوزت حدود الصورة المحسوسة إلى حدود المعاني المجردة أيضاً))(86)؛ فمعظم الألفاظ كانت في أصل وضعها تدل على أشياء محسوسة، ثم آحتيج - مع مرور الزمن وآرتقاء العقل - إلى التعبير عن معان أخر آستجدت في مجال الحياة الفسيح؛ فنقلت الألفاظ ذات المدلول الحسي إلى المعاني التي تربطها بها علاقة ما. ومزية العربية تتجلى في وضوح هذه العلاقة، وآستمرار اللفظ في البحث عن معان مستجدة، وآحتفاظه بكلا معنييه أو جميع معانيه من دون ما لبس أو غموض؛ إذ توجد فيها كلمات كثيرة آحتفظت بمعانيها الحقيقية، مع شيوع معانيها المجازية على الألسنة؛ حتى إن الباحث ليحار في تحديد السابق منها واللاحق! فلا لبس بين قولنا: «فلان يقيد شوارد الفكر»، و«يقيد الأسير بالسلاسل والحديد»، ولا لبس بين قولنا: «الشرف»؛ بمعنى رفعة المقام، ورفعة المكان! وقد يغلب المعنى المجازي فيكون هو المتبادر إلى الذهن، فمن منا اليوم يقرن لفظة «العقل» بعقال البعير، ولفظة «الرحمة» برحم المرأة، ولفظة «المجد» بامتلاء بطن الدابة، ولفظة «النفس» بعملية التنفس، ولفظة «الروح» بالريح والهواء؟!(87).

ولدى الموازنة بين العربية واللغات الأخرى في آستعمال المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في وقت واحد؛ يظهر لنا أن الكلمات التي تستعمل لأداء الغرضين معاً كثيرة في العربية، ولا نلفيها بهذه الكثرة في اللغات الأوربية؛ لذا يحار أبناء اللغات المحرومة من هذه المزية في آستخلاص المجاز الشعري من الصور المحسوسة؛ فيصعب عليهم فهم الشعر العربي من خلال الترجمة إلى لغاتهم(88).

وشغفت العرب باستعمال المجاز منذ بداية نشأة اللغة؛ لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على حيوية الألفاظ ومرونتها في التعبير عن المعاني؛ فالمجاز يتيح للمتكلم التوسع في اللغة من خلال ضروب التعبير المختلفة؛ آعتماداً على العلاقات اللغوية الكثيرة التي تنشأ عن صياغة القول وتركيبه وإسناده، ويجعل النص ثرياً بالمعاني، غزيراً بالدلالات، معطاء بالأفكار والاحتمالات، ويقبل إعادة القول مراراً والتأول فيه؛ للوقوف على شواطئ معان مترامية ومتعددة؛ وبذلك يتحقق للنص الحيوية والبقاء والاستمرار والتجدد(89).

وإذا كانت سنن الحياة تقتضي السببية لكل نتيجة نراها أو نحسها؛ فإن المجاز - وهو أحد صور اللغة الممتدة وأساليبها في التفاهم والتواصل، الذي يخضع لأحكامها، ويلتزم قوانينها - لا بد له من مبعث لوجوده وتطبيقه؛ ذلك المبعث ((هو

الاقتران العرفي الذي لا يلبث أن يتحول إلى ٱطراد معقول، يأخذ بيد اللغة من الحاجة إلى الكفاف، ومن التوحد الدلالي إلى طواعية التكاثر؛ فيصبح هذا التولد المستمر ينبوعاً في اللغة لا ينضب!

إذن؛ فمهمة المجاز تقوم على أساس التحديد المفهومي للحقل الدلالي؛ إذ تستوعب اللغة المدلولات المستحدثة بتفجير طاقاتها التعبيرية الكامنة القادرة على موازاة ما طرأ من جديد في عالم المفاهيم، أو عالم الأشياء))(90).

فـ((«المجاز» هو محرك الطاقة التعبيرية في ٱزدواجها بين تصريحية وإيحائية، بين طاقة موضوعة جدولية، وطاقة سياقية جافة! فمكمن المجاز ٱستعداد اللغة لإنجاز تحولات دلالية بين أجزائها، يتحرك الدال؛ فينزاح عن مدلوله؛ ليلابس مدلولاً قائماً أو مستحدثاً... وهكذا يصبح المجاز جسر العبور، تمتطيه الدوال بين الحقول المفهومية))(91).

وهو أيضاً ((فن وإبداع، وليس مظهراً من مظاهر التطور اللغوي الطبيعي فحسب؛ فهو رافد لحركة التطور، وعنصر ناشط في إثراء المعجم، وركيزة في حركة الإبداع بصبغته الإيحائية، وبخاصة وهو يهدف إلى المشاركة الوجدانية، وٱستدعاء المخاطب إلى فضاء المعنى، فضلاً عن مراعاة الجانب الجمالي))(92)، كما يعد ((مبحثاً خصباً لعلم الدلالة؛ إذ فيه تتجلى مرونة النظام اللغوي وٱنفتاحه على كل تغير للمعنى، وهو يؤكد - من جانب آخر - على مطاوعة اللغة لأساليب التعبير التي يفرضها الموقف، ويتم في صلب النظام اللغوي ٱستحداث أنظمة إبلاغية جديدة تحافظ على نقل الرسالة الإبلاغية، وهي غاية ما يرمي إليه أي نظام لغوي))(93).

إن للمجاز اللغوي دوراً فاعلاً وأهمية بالغة تكمن في كونه وسيلة مهمة من وسائل التوسع اللغوي؛ إذ يثري اللغة، ويشي بطواعيتها ومرونتها، ويسد أوجه النقص في الألفاظ والتراكيب المحدودة؛ فتتولد الألفاظ، وتتجدد المعاني، ويبتعد الاثنان عن الخمول والرتابة. وهذا كله ناتج عن المواضعة التي تمثل تشكلاً دائماً، وتولداً مستمراً، وإبداعاً ممتداً للغة! ومن ثم فـ((إن أكثر اللغة - مع تأمله - مجاز لا حقيقة!))(94).

ومن هنا عد المجاز بحق المحرك الرئيس للطاقة التعبيرية في اللغة؛ إذ تنتقل بامتطائه من التصريح إلى الإيحاء حيناً، وإلى الإيماء حيناً آخر، وهو أحد طاقات الحركة الذاتية لها؛ لأنه يهيئ الألفاظ لاستيعاب المدلولات الجديدة من دون ما أية حاجة إلى ٱستحداث ألفاظ جديدة لها قد تؤدي إلى تضخم الرصيد اللغوي وتعسيره وإرباكه؛ وبذلك يكون المجاز بمثابة القنطرة والجسر الذي تجوز عليه الألفاظ وتعبر بأمان بين الأبحر اللغوية اللجية والحقول الدلالية المتعددة؛ لتؤدي رسالتها اللغوية؛ مما يمنعها من الشح والتقتير، ويمنحها حياة مستديمة لا تبيد ولا تنتهي، ولترق كذلك إلى المراتب العلى في تعاملها الفني وتسخيرها الإبداعي؛ فيكون للمجاز آنئذ أثر بالغ في كل من لغة التعامل الاجتماعي، ولغة الإبداع الفني!

ندرك هذا الكلام، ونفقه قيمته أكثر، ونعي أبعاده الخطيرة إذا ما تذاكرنا معاً أن أصل دلالة ألفاظ اللغة حسي؛ فما أن ٱنصرم طور نشأتها بالتواضع؛ حتى بدأت مرحلة تالية؛ تتمثل بطور الانتقال والتبادل بين المسميات الحسية؛ وكان المجاز - المتمثل بـ((إخراج مدلول اللفظ والجملة من المعنى المجرد إلى الصورة المحسوسة المتخيلة!))(95) - لها رسولاً أميناً، وسلطاناً مبيناً، وعد وسيلة فاعلة في ذلك الانبثاق والتحرر والنفاذ من أقطار الجمود والرتابة وأطواق التبعية والرق، كما عد لها المنقذ المرتجى، والمانح الجواد، والواهب السخي - الذي لا يخاف عيلة - أسباب الحرية والفاعلية والحيوية، وحاديها صوب ناصية الإبداع والتألق والعطاء وفصل الخطاب(96).

وزيادة على ما يضيفه على لغة التخاطب من الإيحاء والجمال والإبداع؛ فـ((إنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة؛ وهي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه))(97)؛ فالاتساع قفز وٱجتياز وتطور، والتشبيه يرتكز في أساسه على التخيل وتقريب المتباعدات، وكذا التوكيد؛ فهو شكل من أشكال الخطاب ونمط من أنماط الإرسال يتجه نحو المتلقي بخطوات راسية ومحسوبة ومتئدة؛ ومن ثم عُدَّ «المجاز» واحداً من أثرى روافد التوسع في المعنى؛ ومن ثم كان واحداً من أهم الجوانب العامة التي تمتاز بها البيانات العالية للكتاب المجيد! وهذا يبيح لنا الحكم بأن الغاية التي حققها في عامة المواطن التي شرفت باحتضانه كانت بحق فنية إبداعية(98).

هذا، و((قد يرد على العرب إشكال في ٱستعمال المجاز، فهل ضاقت اللغة ذرعاً عن رسم الصورة الفنية للشكل أو المضمون بالاستعمال الحقيقي حتى عمد إلى الصيغ المجازية؟!... لا بد من تعليل هذه الظاهرة، والتعليل المنطقي... هو الانتقال بذهن السامع إلى آفاق جديدة، وصور رائعة، ومشاهد متناسقة لا تتأتى بالاستعمال الحقيقي، وهذا يعني القيام

بعملية تجديد وتطوير لأسلوب اللغة، وحسبنا مجازات القرآن شاهداً ودليلاً ومجالاً للتفصيل في القول؛ فالمجاز في قيمته الفنية لا يختلف عن الحقيقة؛ فكلاهما يستهدف الفائدة المتوخاة من الكلام؛ لأن الكلام إنما هو مبني على الفائدة في حقيقته ومجازه))(99).

((ولعل الأصول الأولى في اللغات بمثابة العناصر الأولى في المادة، فكما أن من الممكن أن تتولد من هذه العناصر أصناف لا حد لها من التراكيب؛ فإن من الممكن أيضاً أن تتولد في اللفظ الواحد معان لا نهاية لها بطريق المجاز! وما المعاني الواردة في المعجمات تحت كل مادة من موادها إلا مجازات يمكن أن تزداد زيادة لا حدود لها))(100).

((وٱعلم أنه إذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه؛ فانظر، فإن كان لا مزية لمعناه في حمله على طريق المجاز؛ فلا ينبغي أن يحمل إلا على طريق الحقيقة؛ لأنها هي الأصل، والمجاز هو الفرع))(101).

هذا، وينعت الدكتور محمد المبارك اللغات الكالة الحسيرة عن مواكبة تطورات الحياة المتسارعة، ومجاراة حاجاتها المتجددة للألفاظ والمصطلحات، ينعتها بالطفولة والهرم في آن واحد، وينفي عنها عنفوان الشباب ووقدته وحيويته وعطاءه بعدما درأ عن لغة القرآن الكريم ما وصمت به غيرها من الجمود والكلال والعجز والانكماش والتلاشي والتبدل المستمر الذي لا يعرف قراراً، وراح يذب عنها ويربأ بها منزهاً إياها عن كل ما ٱعترى أخدانها من اللغات الأخرى - أو معظمها - من كسل ورتابة وجمود وخمود وهمود وتقوقع، ومبيناً قدراتها الخلاقة على التنويع والتفنن في الخطاب والتعبير والتأثير، يقول: ((اللغة العربية في تصويرها الوجود، وتعبيرها عن أجزائه، وتصنيفها له إلى أنواع وأجناس... لم تقتصر على الحسيات كما تقتصر كل لغة في طورها الابتدائي؛ فالاقتصار على الحسيات دليل على ٱبتدائية اللغة، وعلى عجزها عن التجديد والتعبير عن المعنويات والمجردات!))(102).

ثم شرع ببيان عدد من مراتب السلم الذي ٱعتلت من خلاله اللغات التي كانت بمنجاة مما ذكر من جوانب السلب، وعدت في مصاف اللغات الآخذة قدماً في قطع أشواط إيجابية مباركة، وٱرتقت صعداً في المواكبة والتطور. ولخص لنا بعبارة موجزة الطرق التي رسمها علماء اللغة لتطور الألفاظ من معانيها القديمة الأصلية إلى مدلولات مجازية جديدة؛ إذ يقول: ((الألفاظ تسلك في تبديل معانيها إحدى الطرائق الآتية - وهي مطردة في جميع اللغات، وليست خاصة بواحدة منها - وهي: التعميم... التخصيص... الانتقال بسبب المشابهة، أو المجاورة))(103).

ويقرر الباحث رمضان صالح في رسالته بأن المجاز أكثر تأثيراً في نفس سامعه وفي عقليته؛ فهو يجعل السامع والقارئ يفكران في المعنى غير المباشر للفظ. والمجاز - زيادة على هذا وذاك - يمنح الألفاظ مرونة أكبر في التعبير عن مدلولاتها؛ فاللفظ الواحد يستعمل في أكثر من معنى، ومنها القريب والبعيد، وهذا يدل على مهارة المتلفظ به وإبداعه ومقدرته على التصرف في أفانين القول؛ فالمجاز واحد من أهم المصادر والروافد الأساسية للتطور الدلالي للمفردات(104).

وتعد لغتنا العربية من أكثر لغات الأرض - إن لم تكن أكثرها - تطوراً في تقاليب مفرداتها، ودلالات ألفاظها. ومن هنا؛ كان للكلمة، والجملة، والتركيب، والسياقات العامة في العربية قلب نابض، وحياة متطورة، متجددة، وهي أبداً في حركة دائبة في صيغها، وتغير دائم في دلالاتها، وتجدد مستمر في طرائق ٱستعمالها، ماضية في أداء رسالتها، لا تلوي على أحد ولا شيء.

ومع كل تلك التقلبات والتبدلات؛ فقد حفت تلك اللغة الخالدة من بين سائر لغات الأرض طراً بعناية إلهية حملتها بأجنحتها الهفهافة الرقاق إلى حيث نجوة ودار أمن من المطبات الخطيرة، والأطوار المتذبذبة، والمخاضات العسيرة التي طالت أخدانها من اللغات الأخرى؛ فخرجت معافاة، قد حافظت على قالبها الرئيس الذي صبت فيه منذ البداية، وٱحتفظت بملامحها الرئيسة، وسلمت لها سماتها الأساسية التي ٱرتسمت بها وعرفت(105).

فـ«المجاز»: ((طريق من طرق التوليد في النظام اللغوي، فما دام اللفظ الحقيقي لا يمكنه التعبير عن كل أغراض المجتمع؛ ٱحتيج إلى هذا التوليد المتمثل في الدلالة المجازية! ثم إن نظام اللغة يتمدد عبر المكان والمقام والزمان والحال - ؛ ليوائم كل التحولات والتغيرات التي تطرأ على بنية المجتمع؛ فيعبر من خلاله عن حاجاته اللغوية، أو النفسية، أو الاجتماعية، أو الثقافية؛ وذلك بخلق أنظمة إبلاغية جديدة ما تلبث أن تصبح محل تعارف وٱصطلاح بين أفراد المجتمع اللغوي))(106).

وما دام الأمر كذلك؛ فقد ٱنعقدت آراء العلماء - قدامى ومحدثين - على أن هذه اللغة لم تتسع لمعاني القرآن الكريم وموضوعاته المتشعبة؛ وإنما كان «المجاز» هو سبيل ٱتساعها! ولم تكن دلالة الكلمات العربية في العصر الجاهلي التي

آنتقلت عن طريق المجاز إلى معان جديدة لتستقر وتتقولب بقوالب ثابتة مطردة في المعجم القرآني! وهذا نوع من المجاز يمكننا الاصطلاح عليه بـ«المجاز الدلالي القرآني»؛ الغرض الرئيس منه: منح هذه الكلمات مدلولات قرآنية جديدة مواكبة لواقع الحياة الجديدة في ميدان الشريعة الفسيح؛ مثل كلمات: «الإسلام»، و«الإيمان»، و«الكفر»، و«النفاق»، و«الفسوق»، و«الفاحشة»، و«الزور»، و«الجبت»، و«الطاغوت»، و«الهدى»، و«الضلال»، و«التقوى»، و«المغفرة»، و«النعيم»، و«الرسالة»، و«الشهادة»، و«الركوع»، و«المعروف»، و«المنكر»، و«الجاهلية»، و«النفاق»، و«التيمم»، و«الصلاة»، و«الزكاة»، و«الصوم»، و«الحج»، و«الربا»، و«الجزية»، و«الأنفال»، و«الفيء»، و«العدة»، و«الساعة»... إلخ(107).

ومما لا جدال فيه أن ((الإسلام دين أقره الله سبحانه وتعالى للناس أجمعين، وسيره في البيئات كلها، وخلده على الأزمنة كافة! ومن هنا؛ فإن أسس مجازات كتابه العظيم لم تقتصر على نفس دون أخرى، ولم تنحصر في حواس وتبتعد عن حواس غيرها، ولم تتلون ببيئة وتعرض عن سواها؛ وإنما ضمت إلى عددها أساساً عاماً؛ وهو الحياة بأوسع معانيها؛ فكان هذا الأساس الحيوي منبتاً حسناً نبتت فيه مجازات دلالية عديدة))(108).

ويذكر الأستاذ الدكتور محمد حسين الصغير أن للمجاز خصائص فنية ((تنطلق من مهمته الإبداعية، ومن مهمته الإضافية للتراث، ومن مهمته التهذيبية للنفس، ومن مهمته التنزيهية للباري عز وجل، وهذه المهمات وظائف أساسية في منظور المجاز القرآني، وهي مؤثرات صلبة تحدد لنا تحرير الألفاظ وتوجه المعاني في خصائص المجاز القرآني التي لمسناها في الأسلوب والنفس، ومظاهر الاستدلال العقلي))(109).

وإذا كان فريق من العلماء قد منعوا من وقوع المجاز في القرآن الحكيم، وشددوا في ذلك؛ لأسباب آرتضوها(110)؛ فإن طائر تفكير جمهورهم لم يحم حول تلك المسألة، ولم يحلق في سمائها، ولم يحط لها على شجر ولا غصن إلا بما يزيدها نضارة في الأنظار، ورسوخاً لدى أولي الأفئدة والأبصار، وإلا بما يبرهن على وجودها بالحجة إثر الحجة؛ حتى غدت عندهم من المسلمات التي لولا وجودها لخرجت الكلمات في الجمل، والجمل في السياقات عن صفة الرشاقة، ورتبة الفصاحة، وأسرار البلاغة، وروح البيان، ولجردت من زينة الأسلوب وأسلوب الزينة، ولطفئ رواؤها، ونضب ماؤها!

وهذا ما يؤيده ويعضده ويشد أزره واقع تلك الظاهرة اللغوية الجليلة، ويأخذ بيده، ويشهد له؛ فإن أساليب المجاز شائعة في سائر اللغات، فضلاً عن شيوعها في العربية، وتطبيقاتها الفنية والبيانية ذائعة ومبثوثة في جل الأسفار والمصنفات، وإن ((العرب يفهم بعضها مراد بعض بهذه الأشياء، فمن تعلق بشيء من هذا ليطعن به؛ فإنما يطعن على لغة العرب؛ بل على لغة نفسه من أهل أي لغة كان؛ فإن هذا موجود ومتعارف في كل لغة، وعند كل جيل!))(111).

وإذا ما عرفنا ما للمجاز من بالغ الأثر في إضفاء معان عديدة قد يكون بعضها جديداً غير مطروق ولا مسبوق، وليس للعربية ولا للمتكلمين بها - لولا تلك الظاهرة المعطاء - من عهد؛ فلا محيص لنا عن معرفة أن ((القرآن لم يبتكر ألفاظاً كانت مجهولة قبله؛ بل الجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد، وأمسها رحماً بالمعنى، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به؛ بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين!))(112).

وإذا كان ذلك كذلك؛ فلنا أن نحكم مطمئنين بـ((أن المجاز ظاهرة قرآنية، وهي لم تأت ببدع من المعاني التي لا صلة للعرب بها؛ وإنما كانت آمتداداً لمعان مادية محسوسة يألفونها إلى معان مجردة، وكلا المعنيين أو المعاني فرع لأصل واحد... إن المعنى الذي تنتقل عنه اللفظة القرآنية إلى مدلول آخر لا يزول ولا ينسخ؛ وإنما تبقى له وشائجه التي ترتبط من خلالها بالمدلول الجديد الذي نصطلح عليه بـ«المدلول المجازي»))(113).

لقد ((جسم القرآن الكريم أموراً معنوية بمجازات دلالية معتمداً أساساً حسياً في العلاقة بينها وبين مدلولاتها العربية، وهذا الأساس الحسي قد تنوع في مصادره بين حواس البصر، والسمع، واللمس، والذوق، والشم؛ ما مهد سبلاً طرقتها تلك المجازات الدلالية إلى العقل العربي من خلال حواسه؛ فأثارت فيها معانيها الحسية القديمة؛ فجرت موازية لمدلولاتها المجازية. وبين إطار هذه الموازاة ترسخت المدلولات المجازية في صور جمعت بين المادة والمعنى، وضمت المحسوس إلى المعقول؛ فكانت خير أدوات للتعبير والتأثير!))(114).

تملك اللغة - إذاً - القدرة على وضع أنظمة إبلاغية جديدة داخل النظام اللغوي العام؛ بوصفها نظاماً من العلائق الدلالية، وتبقى الصلة - مع ذلك - قائمة بين مختلف أنظمتها اللغوية! وبناء على ذلك؛ لا يمكن تصور ظاهرة المجاز على أنها دلالة جديدة تنفصم كلياً عن الدلالة الأصلية؛ وإنما يبقى المجال الدلالي للفظ المجاز محتفظاً بخيط - مهما دق - يربطه بالمجال الدلالي للفظ الحقيقي بحكم أن كل التحولات داخل نظام اللغة تبقى معقودة بنمط تواصلي يربط بينها(115).

ولا عجب في ذلك كله، وما هو على ظاهرة المجاز اللغوي بعزيز؛ إذ يعد وسيلة فعالة ومقتدرة، وسبيلاً ممتهدة وميسرة، وأرضاً مطواعاً وذلولاً تؤدي بسلام وتفضي بأمان إلى التوسع في دلالات ألفاظ اللغة العربية وبناها وتراكيبها؛ إذ إن فيها إثراء لها، وسداً لأوجه الحاجة والنقص في الألفاظ والتراكيب المحدودة، ومن خلالها تتولد للفظة الواحدة معان جديدة تتجدد بها حياتها، وتنتعش حيويتها، وينتفي عنها الخمول، ويكل الكلال، وتنكص الرتابة، وتنأى الأحادية؛ فهي في نشاط قائم، وعنفوان دائم، لا تفتُرُ أبداً، ولا تفترُّ إلا عن كل نادرة أو شاردة أو ثراء(116).

ومن هنا؛ فقد عد بعض علماء اللغة المحدثين تعدد مفاهيم اللفظ الواحد ومدلولاته دليلاً حياً قائماً على حيوية اللغة ومرونتها وطواعيتها وعطائها وسخائها اللامحدود؛ لأن اللفظ أحادي المدلول قد يرهق الجهد الذاكري(117)! وفي هذا السياق يقول الدكتور عبدالقادر الفاسي: ((وعليه يكون تعدد المعاني دليلاً على حيوية اللغة ورواجها، فكيف يمكن أن ننادي بتركه لفائدة أحادية المعنى؟! علماً بأن أحادية المعنى لا يمكن أن تقوم إلا بتحجير اللغة، والقضاء على حركيتها؛ أي: قتلها، وعلماً كذلك بأن المجاز والسياق يعرضان اللفظ للتوسع الدائم))(118).

وأخيراً وليس آخراً؛ فإن الكلام إذا آحتمل الحقيقة والمجاز؛ قدمت الحقيقة، ولا يسلم بالمعنى المجازي إلا بدليل(119)، ومهما يكن من أمر؛ فإن المجاز في قيمته الفنية لا يختلف عن الحقيقة في قيمتها الفنية؛ فكلاهما يرمي إلى الفائدة المتوخاة من الكلام. فالكلام مبني على الفائدة في حقيقته ومجازه(120).

الخاتمة

ولا يسعنا في ختام هذا البحث إلا أن نطوي ما نشرنا من صحائفه، ونسطر أهم ما تضمنته تلك الصحائف من موضوعات ومباحث منهجية متعلقة بجانب «التراكم الدلالي» في القرآن الكريم، والتي يمكن إيجاز عصارتها بالآتي:

❖ إن من دلائل الإعجاز في التعبير القرآني، أو من دلائل الإعجاز في عبارة القرآن: تميزه عن غيره من الكلام البليغ بكثرة الاحتمالات؛ فإن كلام البشر كلما كان أبلغ؛ كان أدل على المطلوب، وأبعد عن الاحتمالات. في حين أن القرآن بما أنه صوت الغيب الموجه إلى مسامع الدهر، يعي كل زمن من أزمنته وكل معنى من معانيه بقدر ما يكون فيه من مقاييس الفكر وتطورات العلم؛ فمن ثم تجد الإنسان في كل عصر ومصر يشعر إذا تلا القرآن أن حقائقه تتجلى أكثر ما تتجلى في العصر الذي هو فيه.

❖ إن لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي؛ ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه.

❖ أدرك المسلمون بأن هنالك معاني إسلامية جديدة قد أمدهم بها القرآن الكريم، وأنهم لم يكونوا ليعرفوها لولا آستعمال القرآن الكريم لها في مواقعها وسياقاتها الجديدة، وأن معاني وكلمات أخرى قد آنتقلت دلالاتها وتحولت عما كانت عليه قبل نزول القرآن.

❖ إن الكلمات، أو الجمل القرآنية قد تكون ذوات أكثر من دلالة، وإن بعض هذه النصوص صالحة لأن توحي بأكثر من معنى، وإنه لا داعي لصرف النص عن أحدها، وقصره على واحد منها دون غيره؛ لما في ذلك من تحكم يأباه العقل، وتأباه اللغة، وتأباه الأساليب البيانية الرفيعة.

❖ إن النص القرآني نص ثري كريم، وذو مستوى عال ورفيع؛ لذا فمن البديهي أن تكون آستجابته للمعاني ليست آستجابة يفتعلها المفسر أو يفرضها وفقاً لمعارفه ومعارف عصره؛ وإنما تعود هذه الاستجابة إلى كون النص القرآني يوحي بتخليق المعاني في داخله وفي أعماقه! وقد أكد القرآن الكريم نفسه في نصوصه البينة كثرة معاني هذا الكتاب الكريم إلى غير نفاد.

❖ إن اللغة العالية التي آمتازت بها نصوص الذكر الحكيم تعد عاملاً مهماً منحها القدرة على الجود بالمعاني المتنوعة، وهبة المفاهيم الجديدة؛ فهي - بلا غرو - المفتاح لدخول القارئ والمفسر إلى عالم النص الفسيح، وآستنباط دلالاته،

وآستخراج أحكامه وحكمه؛ إذ آختار الله سبحانه وتعالى لكتابه من بين الألسنة اللسان العربي؛ لأنه المظهر للمعاني والمقاصد الذهنية أتم إظهار؛ فشرفت بذلك اللغة، وعلا شأنها، وبلغت من السموق شأواً لا تدانيها فيه أية لغة أخرى.

❖ إن اللغة في آستطاعتها أن تعبر عن الأفكار المتعددة بواسطة الطريقة اللغوية الحصيفة المقتدرة المسماة بـ«ظاهرة المشترك اللفظي»؛ التي تتمثل في تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة. وبفضل هذه الوسيلة تكتسب الكلمات نفسها نوعاً من المرونة والطواعية؛ فتظل قابلة للاستعمالات الجديدة من غير أن تفقد معانيها القديمة.

❖ إذا آحتمل اللفظ القرآني معنيين فأكثر، ولم تمتنع إرادة الجميع؛ حمل عليها جميعاً؛ وإلا كان الحامل على أحدها متحكماً فيما ليس له فيه يد! فيجب حمل نصوص الوحي الحكيم على العموم؛ ما لم يرد نص ثابت بالتخصيص؛ فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير، ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل!

❖ يهدف النص القرآني الحكيم - بالاستئناس بظاهرة التوسع في المعنى التي تعد سمة بارزة فيه - إلى إحداث تغيير في الأطر المستقرة في ذهن المتلقي، وتقوى هذه الظاهرة على وجه الخصوص في تلك النصوص التي تستهل بوضع أطر خاصة بها تخالف ما عهده الناس، وتتخذ هذه الأطر أشكالاً مختلفة؛ كأن يأتي الكلام على صيغة يجمع فيها بين شيئين أو أشياء لا يمكن أن تجتمع في ذهن المتلقي أو في عالمه الخارجي؛ لذا فإنها تضفي على أفق القارئ أبعاداً جديدة قد لا يقولها النص مباشرة؛ بل يتوصل القارئ إليها من خلال الأثر الذي تحدثه فيه!

❖ آمتازت اللغة العربية بوفرة كلماتها في المعنى الواحد، وليس معنى ذلك أن هذه الكلمات كلها تدل على هذا المعنى الواحد من دون فروق يلاحظها المتكلم أو السامع! لا؛ بل بين هذه الألفاظ فروق دقيقة في الدلالة، وتفاوت يلاحظ في المعنى.

❖ إن الكلام الذي يمكن أن يدل على معنيين فأكثر معاً في وقت واحد، مع عدم التضاد بينها، ولا دليل يدل على صرف الكلام عن أحدها ويبين أنه غير مراد؛ فإن المعاني تكون مرادة معاً، ويحمل الكلام عليها معاً. وهذا من الفنون البلاغية العالية القائمة على الإيجاز! فالكلمات أو الجمل القرآنية قد تكون ذوات أكثر من معنى، وإن بعض هذه النصوص صالحة لأن تدل على أكثر من معنى، ولا داعي لصرف النص عن أحدها، وقصره على واحد منها دون غيره؛ لما في ذلك من تحكم يأباه العقل، وتأباه اللغة، وتأباه الأساليب البيانية الرفيعة! وهذا من عناصر الإيجاز القرآني، ومن دلائل الإعجاز البلاغي فيه؛ ولا سيما إذا كان الموضوع من الفكريات العامة التي لا تتضمن أحكاماً شرعية محددة بحدود لا مرونة فيها.

❖ دلَّ تنوع وجوه القراءات القرآنية وتعددها على أن مجيء ألفاظ القرآن على ما تحتمله لهو مما يكثر المعنى ويوسع من مجاله؛ فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مُجْزِءاً عن آيتين فأكثر؛ فيقوم تعداد القراءات مقام تعداد الآيات، وتعداد كلمات القرآن! وذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز؛ إذ إن كل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية تكمل إحداهما الأخرى ولا تعارضها، وذلك من أمارات الإيجاز البياني ودلائل الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم؛ إذ دلت كل قراءة على ما تدل عليه آية مستقلة وتعبير قائم بذاته! ولو جعلت دلالة لفظ كل آية على حدتها؛ لم يخف ما سيكون في ذلك من التطريح والتطويل!

❖ بوسع القراءات القرآنية وحدها أن تشكل تفسيراً للقرآن الكريم يعتمد التحليل والاستقراء، وهو تفسير يغوص في منطوق الآيات ليستخرج منها المعنى العميق والشامل، والذي ينسجم مع أغلب الاتجاهات في التفسير، كما ينسجم مع تأويل أهل العلم بالقرآن.

❖ تعدُّ المعاني بمثابة الأرواح، والألفاظ هي الأجساد لها؛ وذلك أن كل لفظة لا معنى لها؛ فهي بمنزلة جسد لا روح فيه، وكل معنى في فكر النفس لا لفظ له؛ فهو بمنزلة روح لا جسد لها.

المراجع

القرآن الكريم.

إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي (ت1117هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1998م.

الإتقان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، دار الإيمان (الإسكندرية)، ط1، 2003م.
أثر التلوينات الصوتية في الدلالة القرآنية - دراسة تحليلية أسلوبية «أطروحة دكتوراه»: أسامة عبدالعزيز جاب الله، إشراف: أ.د.محمد أحمد العمروسي/ جامعة طنطا - كلية الآداب، 2004م.
أثر حروف المعاني في تعدد المعنى: أ.د.عرابي أحمد/ بحث منشور في مجلة «التراث العربي» الصادرة عن آتحاد الكتاب العرب - دمشق/ العدد (89)، السنة 23، آذار 2003م.
أثر القرآن الكريم في اللغة العربية: أ.د.أحمد حسن الباقوري/ دار المعارف (القاهرة)، ط1، 1969م.
أثر القراءات القرآنية في بناء القاعدة النحوية: أ.د.علي محمد فاخر، (بلا دار ولا تأريخ نشر).
أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي: أ.د.مزيد إسماعيل نعيم، وروفائيل أنيس مرجان/ بحث مشترك منشور في مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية (اللاذقية - سورية)، المجلد (28)، العدد (1) لسنة 2006م.
الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين أبو الحسن الآمدي (ت631هـ)، تحقيق: الدكتور السيد الجميلي/ دار الكتاب العربي (بيروت)، ط1، 1984م.
أحكام القرآن: أبو بكر أحمد بن علي الجصاص (ت370هـ)، ضبط وتخريج: عبدالسلام محمد علي شاهين/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1995م.
أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، دار صادر (بيروت)، ط1، 1966م.
الاستعارة في القرآن الكريم «رسالة ماجستير»: أحمد فتحي رمضان، إشراف: أ.د.جليل رشيد فالح/ جامعة الموصل - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 1988م.
الأسس الجمالية في النقد العربي: أ.د.عز الدين إسماعيل عبدالغني/ دار الفكر العربي (بيروت)، ط3، 1974م.
أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم - رؤية بلاغية معاصرة: أ.د.محمد حسين علي الصغير/ دار المؤرخ العربي (بيروت)، ط1، 1999م.
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشيخ الدكتور محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الرياض)، 1983م.
أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: د.نايف خرما الصفدي/ عالم المعرفة - الكويت (الإصدار التاسع)، آب - أيلول 1978م.
الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، 2003م.
إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت338هـ)، تحقيق: أ.د.زهير غازي زاهد المياحي/ مطبعة العاني (بغداد)، ط1، 1977م.
الألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية - طبيعتها، أهميتها، مصادرها: أ.د.أحمد محمد المعتوق/ بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى (مكة المكرمة)، العدد (21)، المجلد (13)، كانون الأول 2000م.
الألفاظ المعبرة عن الكلام في التعبير القرآني «رسالة ماجستير»: نبراس حسين مهاوش العزاوي، إشراف: أ.د.حسن منديل حسن العگيلي/ جامعة بغداد - كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، 2005م.
الأوجه الإعرابية في قراءات أهل البصرة وأثرها في دلالة النص القرآني «رسالة ماجستير»: أسامة صباح عبدالله الرفاعي، إشراف: أ.م.د.عدنان عبدالكريم جمعة/ جامعة البصرة - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 2004م.
الإيضاح في علوم البلاغة «مختصر التلخيص في علوم البلاغة»: أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني (ت739هـ)، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي/ دار إحياء العلوم (بيروت)، ط1، 1998م.
البحث الدلالي عند الأصوليين: أ.د.محمد يوسف السيد حبلص/ مكتبة عالم الكتب (بيروت)، ط1، 1991م.
البحث الدلالي عند الراغب الأصفهاني «رسالة ماجستير»: محمود مصطفى أحمد القويدر، إشراف: أ.م.د.ندى عبدالرحمن الشايع/ الجامعة المستنصرية - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 1999م.

البحث الدلالي في «إرشاد العقل السليم»، لأبي السعود العمادي (ت982هـ)، «أطروحة دكتوراه»: زينب عبد الحسين بلال السلطاني، إشراف: أ.د.كريم حسين ناصح الخالدي/ جامعة بغداد - كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، 2005م.
البحث الدلالي في «لطائف الإشارات»، لأبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري (ت465هـ)، «رسالة ماجستير»: عقيل عكموش العنبكي/ جامعة القادسية - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 2001م.
البحر المحيط: أبو عبدالله أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت745هـ)، مراجعة: صدقي محمد جميل العطار/ دار الفكر (بيروت)، 1992م.
بحوث في المعجمية العربية - المعجم اللغوي: أ.د.عبدالله أحمد الجبوري/ المجمع العلمي العراقي (بغداد)، 2004م.
بدائع الفوائد: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، الشهير بـ«آبن قيم الجوزية»، (ت751هـ)، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا، وعادل عبدالحميد العدوي، وأشرف أحمد الجمال/ مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة، الرياض)، ط1، 1996م.
البرهان في علوم القرآن: أبو عبدالله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (ت794هـ)، تقديم وتعليق: مصطفى عبدالقادر عطا/ دار الفكر (بيروت)، ط1، 2001م.
البلاغة العربية - قراءة أخرى: أ.د.محمد عبدالمطلب/ الشركة المصرية العالمية (القاهرة)، ط1، 1997م.
البنى والدلالات في لغة القصص القرآني - دراسة فنية «أطروحة دكتوراه»: عماد عبد يحيى الحيالي، إشراف: أ.م.د.عبدالوهاب محمد علي إلياس بن رجب العدواني/ جامعة الموصل - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 1992م.
البنية الأسلوبية في التراكيب النحوية «أطروحة دكتوراه»: مهدي حمد مصطفى آل سيد علي العاني، إشراف: أ.د.هدى محمد صالح الحديثي/ جامعة بغداد - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 2003م.
البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تحقيق وشرح: الأستاذ عبدالسلام محمد هارون/ مكتبة الخانجي (القاهرة)، ط7، 1998م.
تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، تحقيق وشرح ونشر: السيد أحمد صقر/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1978م.
تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبدالرزاق الزبيدي، الملقب بـ«مرتضى الحسيني» (ت1205هـ)، دار الفكر (بيروت)، ط1، 1994م.
تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي/ دار الكتاب العربي (بيروت)، ط2، 1974م.
تاريخ علوم اللغة العربية: طه الراوي/ مطبعة الرشيد (بغداد)، ط1، 1949م.
تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد، الموسوم بـ«التحرير والتنوير»: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور/ الدار التونسية، ط31، 1984م.
الترادف في اللغة: أ.د.حاكم مالك الزيادي/ دار الحرية (بغداد)، ط1، 1980م.
التصوير الفني في القرآن: سيد قطب/ دار الشروق (بيروت، القاهرة)، ط20، 2013م.
تطور تفسير القرآن - قراءة جديدة: أ.د.محسن عبدالحميد/ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - جامعة بغداد (من سلسلة بيت الحكمة)، مديرية دار الكتب (جامعة الموصل - العراق)، ط1، 1988م.
التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم - دراسة دلالية مقارنة: أ.د.عودة خليل أبو عودة/ مكتبة المنار (الزرقاء - الأردن)، ط1، 1985م.
التطور اللغوي التاريخي: أ.د.إبراهيم أحمد السامرائي/ دار الأندلس (بيروت)، ط2، 1981م.
التعبير القرآني والدلالة النفسية «أطروحة دكتوراه»: عبدالله محمد طلب الجيوسي، إشراف: أ.د.عبدالقهار داود العاني/ الجامعة الإسلامية العالمية (ماليزيا)، 2001م، دار الغوثاني للدراسات القرآنية (دمشق)، ط2، 2006م.

التفسير الإشاري - ماهيته وضوابطه «رسالة ماجستير»: مشعان سعود العيساوي/ جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية (قسم الشريعة)، 1987م.

التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية «أطروحة دكتوراه»: نوار محمد إسماعيل الحيالي، إشراف: أ.م.د.عماد عبد يحيى الحيالي/ جامعة الموصل - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، شباط 2004م.

تفسير غريب القرآن: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1979م.

تفسير القرآن العظيم، الشهير بـ«تفسير ابن كثير»: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1998م.

تفسير القرآن «الفاتحة - البقرة»: الشيخ محمد صالح العثيمين/ دار ابن الجوزي (الدمام - المملكة العربية السعودية)، ط1، 2003م.

التفسير اللغوي للقرآن الكريم: أ.م.د.مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار/ دار ابن الجوزي (الدمام - المملكة العربية السعودية)، ط1، 2001م.

التفسير الوسيط: أ.د.محمد سيد طنطاوي/ دار الشروق (القاهرة)، ط2، 2000م.

التفسير والمفسرون: أ.د.محمد حسين الذهبي/ دار القلم (بيروت)، ط1، 1987م.

التفكير البلاغي عند العرب - أسسه وتطوره إلى القرن السادس هجرياً: أ.د.حمادي حميدة صمود/ الجامعة التونسية - المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ط1، 1981م.

التفكير اللساني في الحضارة العربية: أ.د.عبدالسلام المسدي/ الدار العربية للكتاب (تونس)، ط2، 1986م.

التكوينات النحوية للمجاز المرسل في القرآن الكريم «أطروحة دكتوراه»: فلاح حسن كاطع، إشراف: أ.د.حسن يحيى محمد رضا الخفاجي/ الجامعة المستنصرية - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 2005م.

تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهري (ت370هـ)، تحقيق: أ.د.محمد عبدالمنعم خفاجي، والأستاذ محمود فرج العقدة/ دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط1، 2001م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الشهير بـ«تفسير الطبري»: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم/ دار سويد (بيروت)، ط1، 1982م.

الجامع الكبير، الشهير بـ«سنن الترمذي»: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الفكر (بيروت)، ط1، 1981م.

الجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية من القرن الثالث حتى القرن السابع الهجري «أطروحة دكتوراه»: حسن أحمد مهاوش العزاوي، إشراف: أ.د.أحمد شاكر غضيب الربيعي/ جامعة بغداد - كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية (قسم اللغة العربية)، 2003م.

الحرف العربي، أو ديالكتيك الألفاظ: د.محمد عنبر القلموني/ الدورة العالمية الخامسة للسانيات (دمشق)، 1980م.

الحصيلة اللغوية «أهميتها، ومصادرها، ووسائل تنميتها»: أ.د.أحمد محمد المعتوق/ عالم المعرفة (الكويت)، آب 1996م.

الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تحقيق وشرح: الأستاذ عبدالسلام محمد هارون/ دار الجيل (بيروت)، ط1، 1996م.

الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار/ دار الكتب (القاهرة)، ط1، 1952م.

دراسات في فقه اللغة: د.صبحي الصالح/ دار العلم للملايين (بيروت)، ط10، 1997م.

دراسات في اللغة: أ.د.إبراهيم أحمد السامرائي/ مطبعة العاني (بغداد)، ط1، 1961م.

دراسات في النحو: الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي/ من منشورات موقع اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد (دمشق)، وموقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت (ب.ت).

دراسات لأسلوب القرآن الكريم: أ.د.محمد عبدالخالق عضيمة/ دار ومطبعة السعادة (القاهرة)، ط1، 1973م.

دلائل الإعجاز: أبو بكر عبدالقاهر الجرجاني (ت471هـ)، تحقيق: د.محمد التنجي/ دار الكتاب العربي (بيروت)، ط1، 1995م.
دلالة الألفاظ: أ.د.إبراهيم أنيس/ مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، ط5، 1984م.
دلالة الألفاظ العربية وتطورها: أ.د.مراد كامل/ دار نهضة مصر (القاهرة)، ط1، 1963م.
الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم «أطروحة دكتوراه»: محمد جعفر محيسن العارضي، إشراف: أ.م.د.حاكم مالك الزيادي/ جامعة القادسية - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 2002م.
دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان المجري «Stephen Ullmann»، ترجمة وتعليق: أ.د.كمال محمد علي بشر/ مكتبة الشباب (القاهرة)، ط10/ 1986م.
الرؤية الاستشراقية للأحرف السبعة والقراءات القرآنية - عرض ونقد: د.رجب عبدالمرضي عامر/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة المنورة)، ط1، كانون الأول 2013م.
الرسالة: الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس بن شافع بن عبدالمطلب بن عبد مناف القرشي (ت204هـ)، تحقيق: الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر/ مكتبة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)، ط1، 1939م.
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الشهير بـ«تفسير الآلوسي»: أبو الثناء الآلوسي (ت1270هـ)، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط2، 1982م.
الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الرازي (ت322هـ)، تحقيق وتعليق: د.حسين بن فيض الله الهمداني/ دار الكتاب العربي (القاهرة)، ط2، 1957م.
الساميون ولغاتهم - تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية: أ.د.حسن ظاظا/ الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ط2، 1993م.
سبل السلام - شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام: السيد محمد بدر الدين الصنعاني، المعروف بـ«الأمير» (ت1182هـ)، دار القلم (بيروت)، ط1، 1979م.
السياق وأثره في الكشف عن المعنى - دراسة تطبيقية في كتب معاني القرآن «أطروحة دكتوراه»: د.خلود جبار عيدان التميمي، إشراف: أ.د.زهير غازي زاهد المياحي/ جامعة بغداد - كلية التربية للبنات، 2008م.
شذرات الذهب - دراسة في البلاغة القرآنية: أ.د.محمود توفيق محمد سعد/ مكتبة وهبة (القاهرة)، ط1، 2001م.
شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت458هـ)، تحقيق: محمد سعيد بسيوني/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1989م.
الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت395هـ)، تعليق وحواشي: أحمد حسن بسج/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1998م.
الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ)، تحقيق: الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار/ دار العلم للملايين (بيروت)، ط2، 1979م.
الصورة الفنية في المثل القرآني - دراسة نقدية بلاغية: أ.د.محمد حسين علي الصغير/ وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد (بغداد)، ط1، 1981م.
الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي (ت745هـ)، مراجعة وضبط وتدقيق: الأستاذ عبدالسلام محمد علي شاهين، تصحيح: سيد بن علي المرصفي/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1995م.
ظاهرة الإعراب في اللغة العربية «أطروحة دكتوراه»: سعدون طه سرحان العجيلي، إشراف: أ.د.رشيد عبدالرحمن العبيدي/ الجامعة الإسلامية - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، 2006م.
ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة: د.أحمد نصيف الجنابي/ بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد)، المجلد 35- ج4، تشرين الأول 1984م.

العربية والغموض - دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى: أ.د.حلمي خليل/ دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)، ط1، 1988م.

العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم «رسالة ماجستير»: آلان سمين مجيد زنگنة، إشراف: أ.د.گاصد ياسر حسين الزيدي/ جامعة بغداد - كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، أيلول 2002م.

علم الدلالة: أ.د.أحمد مختار عمر/ مكتبة دار العروبة (الكويت)، ط1، 1982م.

علم الدلالة: پيير جيرو، ترجمة: أ.د.منذر عطا العياشي، د.أنطوان أبو زيد/ دار طلاس للدراسات (دمشق)، ط1/ 1981م.

علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي: أ.د.منقور عبدالجليل/ من منشورات موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، 2001م.

عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبدالله الدائم، الشهير بـ«السمين الحلبي» (ت756هـ)، تحقيق: د.محمد باسل عيون السود/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1996م.

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت463هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد/ دار الجيل (بيروت)، ط4، 1972م.

عوامل التطور اللغوي «دراسة في نمو الثروة اللغوية وتطورها»: د.أحمد عبدالرحمن حماد/ دار الأندلس (بيروت)، ط1، 1983م.

العين: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، تحقيق: أ.د.مهدي المخزومي، أ.د.إبراهيم السامرائي/ دار الرشيد (بغداد)، ط1، 1980- 1982م.

فقه اللغة: أ.د.علي عبدالواحد وافي/ دار نهضة مصر (القاهرة)، ط7، 1973م.

فقه اللغة وخصائص العربية: أ.د.محمد المبارك/ دار الفكر الحديث (بيروت)، ط2، 1964م.

الفكر الديني في مواجهة العصر - دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر الحديث: أ.د.عفت محمد الشرقاوي/ مكتبة الشباب (القاهرة)، ط1، 2002م.

فنون بلاغية: أ.د.أحمد مطلوب/ دار البحوث العلمية (بغداد)، ط1، 1975م.

في البنية والدلالة - رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية: أ.د.سعد أبو الرضا/ منشأة المعارف (الإسكندرية)، ط1، 1987م.

قال غير العرب عن العربية: مجموعة بحوث حول القرآن الكريم واللغة العربية/ منشورة في موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت.

قاموس اللسانيات، مع مقدمة في علم المصطلح: أ.د.عبدالسلام المسدي/ الدار العربية للكتاب (طرابلس- ليبيا)، ط1، 1984م.

القاموس المحيط: أبو طاهر مجد الدين الفيروزآبادي (ت817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط2، 1987م.

القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: عبدالعال سالم مكرم/ مؤسسة علي جراح الصباح (الصفاة - الكويت)، ط2، 1978م.

القراءات في نظر المستشرقين والملحدين: الشيخ عبدالفتاح القاضي/ دار السلام (القاهرة)، ط1، 2005م.

القراءات المفسرة: أ.د.عبدالهادي دحاني/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، كانون الثاني 2002م.

قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: تأملات الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني/ دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت)، ط4، 2009م.

كتاب الصناعتين «الكتابة والشعر»: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت395هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط2، 1997م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الشهير بـ«تفسير الزمخشري»: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، دار المعرفة (بيروت)، ط3، 1982م.

كلام العرب - من قضايا العربية: أ.د.حسن ظاظا/ دار النهضة العربية (بيروت)، ط1، 1976م.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن عبدالملك حسام الدين، الشهير بـ«المتقي الهندي» (ت975هـ)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط1، 1989م.
لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي، المصري (ت711هـ)، دار الفكر (بيروت)، ط1، 2005م.
اللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم): أ.م.د.هادي نهر/ بحث منشور في مجلة «الضاد»، الجزء الرابع، تموز 1990م.
اللسانيات وأسسها المعرفية: أ.د.عبدالسلام المسدي/ الدار العربية للكتاب (طرابلس- ليبيا)، ط2، 1986م.
اللسانيات واللغة العربية - نماذج تركيبية ودلالية: أ.د.عبدالقادر الفاسي/ منشورات عويدات (بيروت)، ط1، 1986م.
اللغة: الأستاذ جوزيف ڤندريس، تعريب: أ.د.محمد القصاص، وعبدالحميد الدواخلي/ مطبعة لجنة البيان العربي (القاهرة)، ط1، 1950م.
اللغة الشاعرة «مزايا الفن والتبصير في اللغة العربية»: الأستاذ عباس محمود العقاد/ مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، ط1، 1960م.
لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: أ.د.فاضل صالح السامرائي/ دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد)، ط1، 1999م.
مباحث في علوم القرآن: د.صبحي الصالح/ دار العلم للملايين (بيروت)، ط18، 1991م.
مباحث في علوم القرآن: الشيخ مناع القطان/ مكتبة المعارف (بيروت)، ط3، 2000م.
المباحث اللغوية في العراق: أ.د.مصطفى جواد/ لجنة البيان العربي (بيروت)، ط1، 1955م.
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين الجزري، المعروف بـ«آبن الاثير الكاتب» (ت637هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد/ المكتبة العصرية (صيدا - لبنان)، 1995م.
المجاز في البلاغة العربية: د.مهدي صالح السامرائي/ دار آبن كثير (دمشق، بيروت)، ط1، 2013م.
مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط2، 1979م.
مجاز القرآن - خصائصه الفنية وبلاغته العربية: أ.د.محمد حسين علي الصغير/ دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد)، ط1، 1994م.
مجلة الضاد: تصدر عن الهيئة العليا للعناية باللغة العربية في جمهورية العراق (بغداد)، رئيس التحرير: أ.د.أحمد مطلوب/ العدد الرابع، تموز 1990م.
محاسن التأويل، الشهير بـ«تفسير القاسمي»: محمد جمال الدين بن قاسم الحلاق (ت1332هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي/ دار إحياء الكتب العربية (القاهرة)، ط1، 1957م.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الشهير بـ«تفسير آبن عطية»: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية الأندلسي (ت542هـ)، تحقيق وتعليق: عبدالله بن إبراهيم بن علي الأنصاري، وعبدالسلام عبدالشافي محمد/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1993م.
مداخل جديدة للتفسير: الأستاذ غالب حسن/ دار الهادي (بيروت)، ط1، 2003م.
المزهر في علوم اللغة وأنواعها: أبو الفضل جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي بن محمد البجاوي/ المكتبة العصرية (صيدا - لبنان)، ط1، 1986م.
المشترك اللغوي - نظرية وتطبيقاً: أ.د.توفيق محمد شاهين/ مكتبة وهبة (القاهرة)، ط1، 1980م.
المشترك اللفظي في الحقل القرآني: أ.د.عبدالعال سالم مكرم/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط2، 1996م.
المشترك وأثره في آختلاف الفقهاء «رسالة ماجستير»: عثمان محمد غريب الهاشمي، إشراف: أ.د.عبدالحميد العبيدي/ جامعة بغداد (كلية العلوم الإسلامية)، 1997م.
معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد، المعروف بـ«الفراء»، (ت207هـ)، تحقيق: أ.د.عبدالفتاح إسماعيل شلبي، وأحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار/ دار الكتب المصرية (القاهرة)، ط1، 1955م.
معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق الزجاج (ت311هـ)، شرح وتحقيق: د.عبدالجليل عبده شلبي/ دار المعارف (القاهرة)، ط1، 1978م.

المعجم الكبير: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت360هـ)، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي/ مكتبة العلوم والحكم (الموصل - العراق)، ط2، 1983م.

المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته: أ.د.أحمد مختار عمر (بمساعدة فريق عمل متخصص)، مؤسسة التراث (الرياض)، ط1، 2002م.

المعنى القرآني في ضوء آختلاف القراءات: أ.د.أحمد سعد الخطيب/ شبكة التفسير والدراسات القرآنية/ آذار 2004م.

مفاتيح الغيب، الشهير بـ«تفسير الفخر الرازي»، أو «التفسير الكبير»: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين، الملقب بـ«فخر الدين الرازي» (ت606هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 2000م.

المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، المعروف بـ«الراغب» (ت502هـ)، تحقيق: د.صفوان عدنان داودي/ دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت)، ط4، 2005م.

مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت395هـ)، تحقيق وضبط: الأستاذ عبدالسلام محمد هارون/ دار الفكر (بيروت)، 1979م.

مقدمة التفسير: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، المعروف بـ«الراغب» (ت502هـ)، المطبعة الجمالية (القاهرة)، ط1، 1911م.

من أسرار اللغة: أ.د.إبراهيم أنيس/ مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، ط7، 1985م.

من قضايا اللغة العربية المعاصرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية/ محمد شوقي أمين، العدد (38)، ج16، تونس، 1990م.

مناهل العرفان في علوم القرآن: الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق: الشيخ سليم الكردي/ دار إحياء الكتب العربية (القاهرة)، ط3، 1953م.

منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز: الشيخ الدكتور محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي/ إشراف: الشيخ بكر بن عبدالله بن عثمان الحنبلي/ تحقيق: لجنة في مجمع الفقه الإسلامي (جدة)، دار عالم الفوائد (مكة المكرمة)، ط1، 2005م.

المنهاج في الحكم على القراءات: أ.د.إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري/ دار الحضارة (الرياض)، ط1، 2003م.

منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: أ.د.علي عبد الحسين زوين/ دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد)، ط1، 1986م.

المنهج القرآني وصياغة المصطلحات: أ.د.كامل حسن البصير/ بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي/ المجلد (31)، ج3- تموز 1980م.

الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت790هـ)، تحقيق: الشيخ مشهور بن حسن بن محمود آل سلمان/ دار آبن عفان (القاهرة)، ط1، 1997م.

موسوعة الفقه الإسلامي: محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري/ بيت الأفكار الدولية (الرياض)، ط1، 2009م.

النبأ العظيم «نظرات جديدة في القرآن الكريم»: أ.د.محمد بن عبدالله دراز/ عناية: الشيخ أحمد مصطفى عبدالعزيز فضلية، تقديم: أ.د.عبدالعظيم بن إبراهيم المطعني/ دار القلم (الكويت)، ط1، 2005م.

النشر في القراءات العشر: أبو الخير شمس الدين محمد بن يوسف، المشهور بـ«آبن الجزري» (ت833هـ)، إشراف وتصحيح ومراجعة: الشيخ نور الدين علي بن محمد الضباع/ المكتب المصري الحديث (القاهرة)، ط1، 1986م.

نظرية النقد وتطورها إلى عصرنا: د.محيي الدين صبحي العجان/ ديوان المطبوعات الجامعية (وهران - الجزائر)، ط2، 1985م.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت885هـ)، مكتبة آبن تيمية (القاهرة)، ط1، 1982م.

النكت والعيون: الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الشهير بـ«الماوردي» (ت450هـ)، تحقيق: خضر محمد خضر/ مطابع مقهوي (الكويت)، ط1، 1979م.

النواميس اللغوية والظاهرة الاصطلاحية: أ.د.عبدالسلام المسدي/ بحث منشور في مجلة الفكر العربي المعاصر (مركز الإنماء القومي - بيروت)، العددان: (30- 31)، 1987م.

نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار: القاضي بدر الدين محمد بن علي الشوكاني (ت1250هـ)، تحقيق: الشيخ عصام الدين الصبابطي/ دار الحديث (القاهرة)، ط1، 1993م.

الهوامش

(1) الرسالة/ ص42.
(2) من أسرار اللغة/ ص6، وينظر: دراسات في فقه اللغة/ ص338، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص110.
(3) من قضايا اللغة العربية المعاصرة/ ص275، وينظر: قال غير العرب عن العربية/ ص12.
(4) الرسالة/ ص51، وينظر: الموافقات (2/ 103- 104).
(5) المرجع نفسه/ ص12.
(6) سنن الترمذي/ كتاب فضائل القرآن (باب 25)، رقم: (2926) (5/ 184)، قال: هذا حديث حسن غريب.
(7) نظم الدرر (6/ 548).
(8) الساميون ولغاتهم/ ص190، وينظر: اللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم)، ص37- 38.
(9) قواعد التدبر الأمثل/ ص570.
(10) علم الدلالة، لجيرو/ ص50، وينظر: اللسانيات وأسسها المعرفية/ ص74، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص79.
(11) ينظر: التفسير اللغوي/ ص677.
(12) ينظر: علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص291.
(13) دور الكلمة في اللغة/ ص114- 115، وينظر: اللغة، لفندريس/ ص254، والألفاظ المعبرة عن الكلام في التعبير القرآني/ ص5، والألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية/ ص28.
(14) ينظر: التفسير اللغوي، للطيار/ ص591.
(15) سورة الكهف/ الآية 109.
(16) سورة لقمان/ الآية 27.
(17) ينظر: النبأ العظيم/ ص118- 119، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص467- 468.
(18) قواعد التدبر الأمثل/ ص567- 570.
(19) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص (1/ 364- 374)، والكشاف (1/ 200)، ومفاتيح الغيب (3/ 320)، وسبل السلام (5/ 256)، ونيل الأوطار (10/ 393- 394)، وأضواء البيان (1/ 128)، والتفسير اللغوي/ ص66، وموسوعة الفقه الإسلامي (1/ 52).
(20) ينظر: مجاز القرآن (2/ 287)، وتفسير غريب القرآن/ ص517، وجامع البيان (24/ 256- 257)، ومعاني القرآن وإعرابه (5/ 292)، والكشاف (4/ 224، و711)، والإحكام في أصول الأحكام (1/ 44).
(21) ينظر: تهذيب اللغة (3/ 269)، والصحاح (1/ 266)، والمفردات في غريب القرآن (1/ 201- 202)، ولسان العرب (14/ 331)، ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل/ ص205.
(22) ينظر: تهذيب اللغة (3/ 326)، ومقاييس اللغة (3/ 89)، والصحاح (1/ 323)، وأساس البلاغة (1/ 222)، ولسان العرب (4/ 372)، وعمدة الحفاظ (2/ 207)، وتاج العروس (1/ 2957).
(23) ينظر: الكشاف (4/ 757)، ومفاتيح الغيب (31/ 180- 181)، والبحر المحيط (8/ 474)، وروح المعاني (30/ 133- 134).
(24) عمدة الحفاظ (3/ 59)، وينظر: (4/ 219).
(25) ينظر: النكت والعيون (1/ 197)، وتفسير القرآن العظيم (1/ 452)، وقواعد التدبر الأمثل/ ص61.
(26) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص63.
(27) علم الدلالة، لجيرو/ ص50، وينظر: اللسانيات وأسسها المعرفية/ ص74، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص79.
(28) ينظر: التفسير اللغوي/ ص677.
(29) ينظر: علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص291.
(30) النبأ العظيم/ ص162.
(31) الحيوان (5/ 201).
(32) ينظر: المصدر نفسه (1/ 50).
(33) ينظر: البيان والتبيين (1/ 77- 78)، والتفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية/ ص80- 83.
(34) التفكير البلاغي عند العرب/ ص172.
(35) سورة يس/ الآية 37.
(36) ينظر: مقاييس اللغة (3/ 94)، والاستعارة في القرآن الكريم/ ص69، والبنى والدلالات في لغة القصص القرآني/ ص276.
(37) ينظر: مناهل العرفان (2/ 78- 84)، والتفسير والمفسرون (4/ 313- 346)، وتطور تفسير القرآن/ ص154- 155، ومباحث في علوم القرآن، للقطان/ ص367- 369، والتفسير الإشاري - ماهيته وضوابطه/ ص62، والبحث الدلالي في لطائف الإشارات/ ص20.
(38) الفكر الديني في مواجهة العصر/ ص54.
(39) سورة الكهف/ الآية 109.

(40) سورة لقمان/ الآية 27.
(41) ينظر: مداخل جديدة للتفسير/ ص11- 12.
(42) يقال: طريق مهيع؛ على زنة: مفعل؛ أي: واضح، واسع، بين، صواب، من التهيع؛ وهو الانبساط [ينظر: العين (2/ 170)، ومقاييس اللغة (6/ 25)، ولسان العرب (8/ 378)، والقاموس المحيط (1/ 988)، وتاج العروس (22/ 222)].
(43) التحرير والتنوير (المقدمة التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن، تعتبر مرادة بها)، (1/ 97- 100).
(44) النبأ العظيم/ ص151- 152.
(45) سورة الكهف/ الآية 109.
(46) سورة لقمان/ الآية 27.
(47) أي: لينقر عنه، وليفكر في معانيه، وليتأمل في هداياته، وليتدبر في دلالاته وإيحاءاته.
(48) المعجم الكبير/ باب العين (عبدالله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه)، رقم (8685) (9/ 136)، وينظر: شعب الإيمان/ الباب التاسع عشر من شعب الإيمان، وهو باب في تعظيم القرآن (فصل في تعلم القرآن)، رقم (1960) (2/ 331)، وكنز العمال/ حرف الهمزة - الكتاب الثاني: في الأذكار من قسم الأقوال (الباب السابع: في تلاوة القرآن وفضائله)، رقم (2453) (1/ 548).
(49) ينظر: دراسات في فقه اللغة، للصالح/ ص301- 302.
(50) والتي من أهمها كتاب: «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر»، لأبي الفرج آبن الجوزي، وجلال الدين السيوطي في: «معترك الأقران في مشترك القرآن».
(51) قواعد التدبر الأمثل/ ص567- 570.
(52) ص59.
(53) قواعد التدبر الأمثل/ ص60.
(54) ينظر: جامع البيان (14/ 98)، وتفسير غريب القرآن، لابن قتيبة/ ص246- 247.
(55) ينظر: علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص241، وعلم الدلالة، لعمر/ ص69، واللسانيات واللغة العربية/ ص372.
(56) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام (1/ 20)، و(3/ 9).
(57) ينظر: المشترك اللغوي - نظرية وتطبيقاً/ ص291، ودراسات في اللغة، للسامرائي/ ص19، ومنهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث/ ص138، وظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة/ ص64، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص120.
(58) ينظر: المشترك وأثره في آختلاف الفقهاء/ ص59، و124، وقواعد التدبر الأمثل/ ص577.
(59) ينظر: المرجع نفسه/ ص75، وقواعد التدبر الأمثل/ ص324- 330.
(60) ينظر: المرجع السابق/ ص60- 61.
(61) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص579.
(62) تفسير القرآن، للعثيمين (28/ 5).
(63) ينظر: جامع البيان (14/ 98)، وتفسير غريب القرآن، لابن قتيبة/ ص246- 247.
(64) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (1/ 274).
(65) اللسانيات واللغة العربية/ ص 206، وينظر: الألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية/ ص25- 28.
(66) ينظر: الألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية/ ص29.
(67) ينظر: الحصيلة اللغوية/ ص219- 221، و347، والألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية/ ص30.
(68) دور الكلمة في اللغة/ ص114- 115.
(69) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام (1/ 47)، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص278- 279، والحصيلة اللغوية/ ص219- 221، و347، والألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية/ ص36.
(70) أي: شاباً، فتياً.
(71) ينظر: العربية والغموض/ ص71- 91.
(72) أثر القراءات القرآنية في بناء القاعدة النحوية/ ص419- 420.
(73) في معرض تقديمه لكتاب: «القراءات القرآنية وأثرها في علوم العربية»، ص9.
(74) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين/ ص199، وينظر: الرؤية الاستشراقية للأحرف السبعة والقراءات القرآنية/ ص53.
(75) ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية/ ص77، وأثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي/ ص16، و20، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص14، وأثر حروف المعاني في تعدد المعنى/ ص191.
(76) القراءات المفسرة/ ص20، وينظر: القراءات في نظر المستشرقين والملحدين/ ص12، و18، والرؤية الاستشراقية للأحرف السبعة والقراءات القرآنية/ ص31.
(77) ينظر: المرجع نفسه/ ص14، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص14.
(78) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص719.
(79) المرجع نفسه/ ص722.
(80) ينظر: المرجع السابق/ ص709، و722- 723.
(81) أثر التلوينات الصوتية في الدلالة القرآنية/ ص389.
(82) كتاب الصناعتين/ ص81، وينظر: المثل السائر (1/ 74)، والإيضاح في علوم البلاغة/ ص250، والبرهان في علوم القرآن (2/ 256).
(83) ينظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم (المقدمة)، ص1.
(84) علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص317- 318، وينظر: دلالة الألفاظ/ ص148- 155.
(85) البلاغة العربية - قراءة أخرى/ ص98.
(86) اللغة الشاعرة/ ص40.
(87) ينظر: المرجع نفسه/ ص15.

(88) ينظر: المرجع السابق/ ص41، وظاهرة الإعراب في اللغة العربية/ ص45.
(89) ينظر: المثل السائر (1/ 57)، وفي البنية والدلالة - رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية/ ص183، وفنون بلاغية/ ص84.
(90) علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص 318، وينظر: اللسانيات وأسسها المعرفية/ ص96- 97.
(91) النواميس اللغوية والظاهرة الاصطلاحية/ ص23، وينظر: علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص318.
(92) التكوينات النحوية للمجاز المرسل/ ص37، وينظر: معاني القرآن، للفراء (3/ 182).
(93) علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص97.
(94) الخصائص (2/ 447).
(95) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص408، وينظر: علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص319- 320.
(96) ينظر: دلالة الألفاظ/ ص161، والتفكير اللساني في الحضارة العربية/ ص 188، وقاموس اللسانيات/ ص44.
(97) الخصائص (2/ 442)، وينظر: علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص183.
(98) ينظر: التكوينات النحوية للمجاز المرسل/ ص37.
(99) الصورة الفنية في المثل القرآني/ ص152.
(100) الحرف العربي، أو ديالكتيك الألفاظ/ ص14، وينظر: دراسات في النحو (1/ 573).
(101) المثل السائر (1/ 111)، وينظر: التكوينات النحوية للمجاز المرسل/ ص47.
(102) فقه اللغة وخصائص العربية/ ص308- 309.
(103) فقه اللغة وخصائص العربية/ ص218، وتنظر تلك الطرائق في: تفسير غريب القرآن/ ص736، وتأويل مشكل القرآن/ ص161، و471- 472، والزينة في الكلمات الإسلامية العربية (2/ 27 وما بعدها)، والصاحبي/ ص78- 86، والمزهر (1/ 427)، ودلالة الألفاظ/ ص152- 167، وأصول البيان العربي في القرآن الكريم/ ص42، والمجاز في البلاغة العربية/ ص63.
(104) ينظر: الترادف في اللغة/ ص100، ومجاز القرآن، للصغير/ ص59، والألفاظ المعبرة عن الكلام في التعبير القرآني/ ص15.
(105) ينظر: من أسرار اللغة/ ص144، ودلالة الألفاظ العربية وتطورها/ ص14، والتطور اللغوي التاريخي/ ص40- 41، والترادف في اللغة/ ص19.
(106) علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص327، وينظر: النواميس اللغوية والظاهرة الاصطلاحية/ ص23، والتعبير القرآني والدلالة النفسية/ ص361.
(107) ينظر: تاريخ آداب العرب (1/ 208)، وتاريخ علوم اللغة العربية/ ص41- 42، وأثر القرآن الكريم في اللغة/ ص61، وفقه اللغة، لوافي/ ص119، والمشترك اللفظي في الحقل القرآني/ ص10، والترادف في اللغة/ ص224، وبحوث في المعجمية العربية/ ص211.
(108) المنهج القرآني وصياغة المصطلحات/ ص78.
(109) مجاز القرآن/ ص85.
(110) ينظر على سبيل المثال: مفاتيح الغيب (4/ 107)، وبدائع الفوائد (4/ 1009)، والإتقان (1/ 234)، ومنع جواز المجاز/ ص3- 6.
(111) التبيان في تفسير القرآن (1/ 312).
(112) أسلوب الدعوة القرآنية - بلاغة ومنهاجاً/ ص286.
(113) المرجع نفسه/ ص47.
(114) المنهج القرآني وصياغة المصطلحات/ ص62.
(115) ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي/ ص378، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص95.
(116) ينظر: عوامل التطور اللغوي/ ص57، والتكوينات النحوية للمجاز المرسل/ ص48، والبحث الدلالي عند الأصوليين/ ص63.
(117) ينظر: نظرية النقد وتطورها إلى عصرنا/ ص202، والألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية/ ص28.
118(118) اللسانيات واللغة العربية/ ص206، وينظر: ص374، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص204- 205، و241.
(119) ينظر: التفسير اللغوي/ ص212، و548.
(120) ينظر: السياق وأثره في الكشف عن المعنى/ ص158- 159.